العدد الرابع

المنهاج

مجلة إسلاميّة جامعة تصدر مرّة كلّ شهر

جمادى الآخرة 1418 هـ / أكتوبر 1997 م

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّنا تقبّل منّا
إنّك أنت
السّميع العليم

البقرة
127

المنهاج

مجلّة إسلاميّة جامعة تصدر مرّة كلّ شهر

العدد الرّابع - السّنة الأولى

مسؤول التّحرير: عبد الله سفيان

☎ 00 44 956 448 397

عنوان المراسلات :

AL - MENHAJ
BM BOX 7524 LONDON WC1N 3XX
U. K.

رب يسر وأعن

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على النّبيّ الأمّيّ وعلى آله وصحبه أجمعين..

إن أوّل سؤال يجب أن يسأله المرء لنفسه: ما المشروع الذي وهب نفسه له؟ وعلى ضوء إدراكه ووعيه لأهدافه التي يسعى للوصول إليها وتحقيقها فإنه يضع من الوسائل الكفيلة لتحقيق مشروعه وأهدافه. وكلما ارتفعت مدارك الإنسان وعظمت أهدافه كلما أوجب على نفسه الإبتعاد عن صغائر الأمور وتوافهها، وخاض في المعالي التي لا تكون إلا مع الصعوبات ومشاق الأنفس، ومسلم اليوم حائر بين الرضوخ لواقعه الدنيء السيء وبين آماله العظيمة الجليلة، فقوم رضخوا لهذا الواقع مع اختلاف بين هؤلاء الراضخين في درجة الصغار والمهانة، وقوم أبوا إلا العيش مع الوعد القادم الذي يمثل نهاية مشروعهم في هذه الحياة.

لسنا معنيين بتفسير ظاهرة السقوط والتنازل، وليس من الحكمة أن تكون ورقاتنا هذه مكانا آخر لهؤلاء الساقطين لنشرح ماهم عليه، وتعداد صور سقوطهم ومهانتهم وذلتهم وارتكاستهم في دركات المتخلفين، ولكننا معنيون ولدرجة الوجوب أن نكشف عن أنفسنا، وكيف نفهم واقعنا، وبالتالي أين نضع أنفسنا في زمن الفتن والأهواء وإعجاب الناس بأوثانهم وأصنامهم التي يحملونها ويزينونها لأنفسهم أولا ثم للآخرين ثانيا.

نحن ندرك تماما وبدرجة واضحة جدا أننا ضعفاء، ونؤمن كذلك حتى درجة اليقين أن عدم وصولنا إلى أهدافنا ليس لقوّة خصومنا فحسب ولكن لأننا ضعفاء أوّلا، بل لأنّ الضعف هو السبب الرئيسي والمهم في هذا الباب، وعجزنا وضعفنا ليس في باب واحد من أبواب القوة والحق، بل هو في كل الأبواب وفي كل الميادين.

فنحن نسأله سبحانه وتعالى أن يستر علينا وأن يرحمنا وأن يجبر كسرنا ويقوّي ضعفنا.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

لو أنصفنا أنفسنا لرأينا أن تديّن بعض شبابنا هو تديّن مرضي، وأول مظهر من

مظاهر هذا التدين المرضي هو إنكار الحقائق، فالكثير منا ظن أنه بمجرد أن توجد الصور والأسماء فهي كفيلة بتحقيق النتائج والوعود الإلهية، فراح يملأ وقته بصناعة الصور والإكثار من الأسماء، وإطلاقه الألقاب على أوهام ذهنية لا حقيقة لها في عالم التكوين والقدر، ثم جلس أمامها يناجي ربه أن يحقق الوعود، وهيهات هيهات أن تأتي الوعود على الأماني والأوهام (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به).

وقد وصل مرض العصاب الذهني لشبابنا أن صار ينشئ المعارك على الأوراق، ويحقق النتائج بالحبر، ثم ينام قرير العين أنّ جولة جديدة من جولات الصدام قد انتهت بتحقيق النصر وإحراز التقدم. بل وصل المرض إلى اعتقاد البعض أن تحقيق الأمل الأعظم قد وقع وذلك بأن صار لنا دولة وخلافة!!

لقد صدق من قال أن العُصابي (مريض العصاب) عندما يعجز عن تحقيق الهدف فإنه يبنيه في داخله بأوهامه ويعكف عليه فرحا.

وإن من صور هذا المرض أن انتقلت معارك الشباب إلى مواطن يسهل فيها تحقيق النصر تاركين أرض المعركة الكبرى، وكان من صورها أنه عندما عجزنا أن نزيل طاغوتا من مكانه رضينا أن نحقق الإنتصارات العظيمة في أوهامنا ومخيلاتنا على أنفسنا من إخواننا.

إن هذا الشيوع الفاحش لتلك المناظرات الوهمية، أو تلك السجالات الكلامية الدائرة بين الأفراد والتجمعات هو خير دليل على انتكاستنا نحو الوهم والخيال. اسمع إلينا واجمع كم مرة تتردد بيننا هذه العبارات: (لقد أُسقِطَ في يده...)، (لقد عجز عن الرد...)، (لقد واجهته فسكت...)، (أنا أتحداه أن يقف أمامي...).. وهكذا تطول القائمة المستمدة من الواقع المرضي والتي في أغلبها قد بناها أفرادنا من الأسواق الجاهلية.

وينسى الجميع أن الحديث الذي يجب أن يدور هو حديث النصيحة بكل مراتبها الحكيمة من اللين والشدة وغيرها لا حديث الغلبة اللفظية والمعارك الكلامية.

إن استجابة طالب العلم للمرض وذلك بأن يسمح بوجوده ووجود مخالفه على (حلبة مصارعة) ليتحقق السعار الجماعي عند الأتباع لهو دليل على أن المريضَ يقود طبيبه، وأن الشباب الجاهل حقق مراده بأن وجد في العمل الإسلامي ما كان يعيشه جاهلياً وهو يشاهد مصارعة الثيران أو مباراة الديكة.

* * * * *

لو أنصفنا أنفسنا لحرصنا على الموجود فهو رأس المال ولم نضيعه طمعًا في المفقود، وإلاّ فَقَدَ الموجود ولم يتحقق المفقود وقد كان وسيكون.

في الإنسان رغبة دائمة وشوق قوي إلى الغائب البعيد، وزهد واحتقار للمملوك القريب، ويدوم طلب الإنسان ليتحقق التملك حتى إذا حصل استهان به واحتقره. ولذلك يا خيبة وخسارة من عرض نفسه عند من يتابع هواه ولا يعرف حقائق الحياة وسنن الكون.

كان كلامنا وحوارنا يحمل الألفاظ التي يفهمها اخواننا وشبابنا لأنهم أولى الناس باهتماماتنا ثم ظننا لوهلة أننا لو غيرنا من سِحنتنا (وهي إسلامية كهيئتنا) وطوّرنا الخطاب: فجعلنا المجاهدين ثوارا، وإن لم تقبل فمعارضة مسلحة، وسمينا العالم المجاهد محرّرا ثائراً، وإن لم تقبل فمعارض سياسي، وهكذا لو (تَلَحْلَحْنَا) ثم تحللنا فيمكن أن نكسب هذا المفقود.، لكن صبرا سيكسبكم الآخر وستفقدون أنفسكم، فالشيطان مكانه منذ يوم ضلاله وإلى يومنا هذا، ولن ينتقل إليكم بل ستنتقلون إليه..

أوّاه لو أنصفنا أنفسنا وقبلنا النصيحة.

* * * * *

لو فهمنا مشروعنا وعلمنا جوانبه وآفاقه لما رأينا شبابنا يحتقرون كل شيء ما لم يكن رصاصة، فلما جاء إلى مكان ليس فيه هذه الرصاصة عجز أن يفهم ما يمكن أن يفعله، فبدل أن يفهم ارتكس جاهلياً.

لنعترف أولا أن تحقيق الهدف النهائي في أيامنا هذه ممنوع بسبب عجزنا وضعفنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس.

وليستقر في قلوبنا أننا لن نتخلى عن أهدافنا مهما طالت الطريق وبعدت الشقة.

فما المطلوب منا أمام هذا الثقل؟

ليس هناك إلا طريقين لا ثالث لهما:

إما أن نتنازل عن بعض الجهد مقابل بعض الهدف الذي يقدمه لنا الغير بعد أن يسلبنا شرعيتنا،

وإما أن نقبل بأن نموت!! وأن نتجمد!! وأن ننتكس!! (هكذا يسمون الثبات في أيام تسمية الخمر مشروبات روحية) حتى إذا جاء من بعدنا وجد الطريق صافيا مشرقا، ففجّر الكلمات الصامتة معارك حية ووقائع إيمان، ونفض عنها غبار التغييب فوجدها ذهبًا

صافيا لا عوج فيه ولا أمتا.

أوّاه لو فهمنا سنة الحياة وسنة الحق.

* * * * *

حين نفهم أن مشروعنا يملأ الزمان والمكان، وأن معاركنا في كل مكان ملتهبة، وأن حصوننا تُدَك في كل الإتجاهات، حينها ندرك غلط وخطأ تلك الإمكانات المتواضعة التي أعددنا شبابنا لها.

أليس خطأنا نحن وجريمتنا نحن حين نختلف مع شاب أو أخ كان معنا ثمّ خالفنا فنكتشف فيه جهلا في الدين، وسوءً في الخلق، وفجوراً في الخصومة.. إنّها بلا شكّ جريمتنا نحن حين نعمى عن رؤية أنفسنا ثمّ نكتشفها إذا صارت الآخر!.

هذه الجريمة الماثلة أمام أعيننا شخصا مريضا هي من صنع من؟ ومن الذي كرّسها؟ من هو هذا الذي تعامل مع الشباب على أنهم أداة لتنفيذ أغراضه ولم يقدم لهم شيئا؟ وبعد أن استنفذ أغراضه راح يشتمهم!!

وحين نفهم أن مشروعنا يملأ الزمان والمكان، وأننا حماة لكل هذا الإرث الذي أورثناه أجدادنا من دين ولغة وقيم وأدب.. ثم نبحث عن مقدار توريثه لشبابنا بأن نرفع مستوى الفهم والوعي في داخلهم فلا نجد -ويا حسرتاه- إلا النفخ البارد والدّعاوى الفجّة والكبر المقوت.

أواه أيها الأحبة كم هي صارمة سنن الحياة ولا تحابي أحدا.

وأخيرا يا حسرة هذه الكلمات إن حضّرنا أنفسنا للردّ عليها لأنها جاءت من هذه المجلة، ولم نفهمها على وجه النصيحة ونقد النفس ومراجعة الذات، فالنقد الذاتي صار يعني عندنا: نقد غيرنا من قبل نواتنا ورحمة الله على الجميع.

والحمد لله رب العالمين

أيّها الأحبّة..
لقد رحل «أبوفِهْر» غريباً!

بقلم الشّيخ/
أبي قتادة الفلسطيني

لعمرك ما الرّزيّةُ فَقْدُ مالٍ
ولا شاةٌ تموت ولا بعيرُ
ولكنَّ الرّزيّة فقْدُ قَرْمٍ[1]
يموتُ بموته بشرٌ كثيرُ

في يوم الخميس الثالث من ربيع الآخر 1418هـ / الموافق السابع من شهر اغسطس (آب) 1997م/ وافت المنية الشّيخ العلاّمة محمود محمّد شاكر - أبا فهر - علَمَ العربيّة في هذا الزّمان، ورجلَ اللّغة التي وهب نفسه للدفاع عنها وردّ الإعتبار لها، والوقوف أمام خصومها وخصوم هذه الأمّة..

لقد غاب الشّيخ محمود شاكر دون دمعة وفاء، رحل كأنه طيف جاء ثمّ ذهب، لم يشعر به إلاّ القليل ممّن يعرفون للرّجال مقاماتهم وحقوقهم، ولو

(1) القرم من الرّجال: السّيّد المعظّم..

كان الشّيخ واحدا من أولئك الذين هجروا أمّتهم، ورطنوا بالرّموز، ولاكت ألسنتهم الأسماء الأعجميّة وسلك في مسالك الأحزاب العلمانية الكافرة لرأيت لموته رنينا وجلبة، ولتسامعت به النّساء في خدورهنّ، ولكن الشّيخ مضى غريبا كما تعيش محبوبته (اللّغة العربيّة) غريبة كذلك بين أهلها.

وفاءً لهذا الإمام الفحل، وقياما بحق الرّجل العظيم محمود محمّد شاكر فإنّنا نتقرّب إلى الله تعالى بتعريف الشّباب المسلم به، فكيف يجوز لطلاّب الهدى ورجال هذه المرحلة أن يجهلوا من استشهدوا بكلامه النّفيس في تكفير الحاكمين بالياسق العصري؟..

إنّ الشّيخ محمود محمّد شاكر أخو أحمد عبد القادر هو الذي كتب حكم الله في هذه القوانين الكافرة.. كما في أثر تفسير الطّبري رقم (12036) وكما نقله عنه الشّيخ أحمد شاكر (شقيقه) في عمله لعمدة التّفسير 156/4 وما بعدها..

وإيماناً منّا أنّ نهضة الأمة وقيامها من كبوتها لن تكون بإزالة طواغيت الحكم وكشفهم فقط، مع أنّهم أعظم المجرمين جرما، إنّما بإدراك طلاّب الهدى أنّ معركتنا مع خصوم هذه الأمّة على جميع الصُّعد وفي كلّ الميادين، وأنّ ميدان اللّغة والثّقافة والأدب هو من أعظم هذه الميادين.

ألا فليعلم الشّباب المسلم من طلاّب الهدى والحقّ أنّ حصر أبواب الخير والحقّ في جانب واحد يصنعه الشباب المسلم المقاتل هو ظلم لمفهوم الطّائفة المنصورة، وظلم لديننا، وظلم للرّجال الأوفياء لهذا الدّين وهذه الأمّة، ولذلك

يجب علينا أن نعي طبيعة هذه المعركة وعمق جوانبها وشمول أدواتها، إذ المقصود منها قبل كلّ شيء هو هذا الإنسان، الإنسان المسلم الذي أُرِيدَ له أن يتنكّر لدينه وتاريخه ورجاله وثقافته، ولذلك فلنعلم كذلك أنّه ما من رجل مسلم أو إمرأة مسلمة في هذا العالم إلاّ ويقف على ثغرة من ثغور الإسلام المتّسع الأطراف وفي كلّ الميادين، وحيث كان هذا المرء وفيّا صادقا مخلصا متقنا لهذه الوقفة فإنّه يستحقّ منّا المحبّة والولاء والأخوّة، وهو منّا ونحن منه، بل يشرّفنا أن نكون منه وأن نتعلّم منه وأن يكون إماما لنا.

إنّنا نعتقد وبيقين وصدق أنّ الشّيخ محمود محمّد شاكر كان إماما في الحق، وصخرة لا تلين أمام أعداء الأمّة والدّين.

رحم الله الشّيخ وأسكنه فسيح جنّاته، وليس لنا إلاّ الصّبر، وإن كان ثمّة دمعة تذرف من عيوننا فهي -والله- على أنفسنا أنّنا سنموت وحاجتنا في الصّدر لم تقض باللّقاء به والجلوس بين يديه، وهي حاجة كانت تملأ الجوانح وتعتمل في الصّدر، لكنّها سدود الباطل وحواجز الرّدّة التي تعيق هذه الحاجات وتحبسها دون تفريج لها.

ثمّ هي دمعة أخرى أن لا تعرف الأمّة حقّ الرّجال وتجهل مقاماتهم، وهي التي تتسمّع أخبار حصب جهنّم، وتملأ أعينها وآذانها صور أهل الشّر وأئمّة الضّلال.

رحم الله أبا فهر وألحقه بالصّالحين، آمين آمين..

معركة تحت راية القرآن

كانت معركة اللّغة العربيّة ضدّ أعداء الأمّة والدّين أوسع وأرحب وأعنف من كلّ المعارك التي خاضها أئمّة الدّين ورجال الأمّة على الجبهات الأخرى، بل إنّ أئمّة اللّغة كانوا الأسبق والأكثر إحساسا بتيّار الزّندقة القادم من غيرهم من المشايخ وأهل الفقه، وقد أرادها هؤلاء الرّجال معركة تحت راية القرآن، غير منبتّة عنه، ولعلّ الشّباب المسلم اليوم بحاجة إلى معرفة هذه المعركة ودراسة تاريخها ومعرفة رجالها من أئمّة الهدى، وخصومهم من الزّنادقة، لأنّ هذه المعركة ما زالت قائمة وتستعر يوما بعد يوم، وأغلبنا في غفلة عنها ولا يعرف شيئا عن أدواتها وحقيقتها وتطوّرها والنّتائج التي تُفضي إليها، وميدان الأدب هو من أهمّ الميادين «جميعا وأخطرها، وإن لم يكن كذلك عند كثير من النّاس، ومصدر خطورته هو أنّه أقدر الأدوات على تطوير الرّأي العام وعلى صوغ الجيل وتشكيله فيما يراد له من صور، وذلك لتغلغله في حياة النّاس، وتسلّله إلى أعماق نفوسهم عن طريق الصّحافة والمسرح والسّينما والإذاعات الأثيريّة، ثمّ عن طريق الكتب المدرسية وما يناسبها من كتب الأطفال والشّباب، والمعركة ذات شقّين، أحدهما يتّصل بأساليب الأدب وموضوعاته ومذاهبه، والآخر يتّصل بلغته» (2).

الرافعي يقود المعركة: ....

كان من أوائل الرّجال الهداة في هذه المعركة هو الفارس المجلّي والسّيف اليماني المحلّى الأستاذ الكبير مصطفى صادق الرّافعي عليه من الله أوفى الرّحمات وأسبغها.

لقد كان الرّافعي كاتب الإسلام الأوّل في هذا العصر وفي هذه المعركة، ومع أنّه كان واحدا من كثيرين في هذه المعركة، ولكن الرّافعي هو العلم المتميّز بقوّة العاطفة الهادرة

---

(2) الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر 2/272-273. للدكتور محمّد محمّد حسين رحمه الله، وهذا الكتاب يكشف لك بدايات الكشوف التي استقرّت بعد ذلك لتيّار الزّندقة وقواعد الإسلام المستنير !! (زعموا) إنّما مبدأ كشفها تمّ على يد رجال الأدب والثّقافة لهذه الأمّة، فالأفغاني ومحمّد عبده كانت بدايات التّنبيه إلى ما هم عليه إنّما تعتمد على هذا الكتاب وكذلك الإشارة إلى جرائم سعد زغلول وارتباطه بأفكار التّحلّل الإجتماعي والسياسي كتحرير المرأة وغيرها، إنّما الفضل فيها يعود إلى هذا الكتاب أيضا. ثمّ لا ننسى فضل الكتاب الفرد في هذا الباب: «موقف العقل والعلم والعالَم من ربّ العالمين وعباده المرسلين»، لشيخ إسلام الدولة العثمانية مصطفى صبري رحمه الله.

"وبأسلوبه النّاري وقمعه الرّادع وصلصلته المرنة التي لا تستمدّ رنينها من قوّة الألفاظ وحدها، فالألفاظ في متناول الكاتبين جميعا، ولكنّها تستمدّ قوّتها ممّا وراء الألفاظ من روح غلاّبة قاهرة، هي روح البطل الجبّار الذي يثق من قوّته الحربيّة، ومهارته الفنيّة في حلبات الصّيال" (3).

البداية: ....

تفتّحت المعركة من كوّة فتحها رجل مستغرب أعمى الله بصيرته فخرق في الأمر خرقا، هو الدكتور طه حسين (4) حينما أراد أن يطبّق مبدأ الشكّ الدّيكارتي (5) الذي زعمه على القرآن فأعلن في مبحث الشّعر الجاهلي أنّ ورود قصّة إبراهيم عليه السّلام في القرآن ليست كافية للدّلالة على وجود رجل حقيقيّ اسمه إبراهيم، وكان باب هذا الأمر الخطير مدخله عند هذا الرجل التّشكيك بالشّعر الجاهلي، وأنّ هذا الشّعر إنّما هو صنيعة العصور الإسلاميّة، ولكنّهم نحلوه للجاهليّين.. وبالرّغم من أنّ ارتباط مسألة نفي الحقائق التّاريخيّة -التي وردت في القرآن- بالدّين واضحة المعالم، إلاّ أنّ نفي صحّة نسبة الشّعر الجاهلي لما قبل الإسلام قد تبدو ضعيفة الصّلة بالمسائل الدّينيّة ولكنّها في الحقيقة من أوثق الصّلات بالقرآن الكريم، ذلك لأنّ الشّعر الجاهليّ يمثّل حقيقة قوّة أهله في البيان

---

(3) ‹مصطفى صادق الرّافعي فارس القلم تحت راية القرآن› لمحمّد رجب البيّومي ص45. كتبت إحدى الجرائد العربية الصادرة في أمريكا لمصطفى صادق الرافعي قائلة:- "إنّك لو تركت (الجملة القرآنية) و الحديث الشريف لكنت الآن المرجع الذي لا ينازع، وابزّ مذهبك في البلاغة المذاهب كلّها من قديم أو حديث" (الجملة القرآنية) لأرسلان نقلا عن مجلّة الزهراء ج1/8، وأدباء المهجر!! (جبران وميخائيل نعيمة والريحاني) هم من أوّل من ادخلوا الأسلوب التوراتي ورموزه في الأدب العربي، وكانت لهم مجلة اسمها (الفنون) يقوم عليها ثالث اسمه نسيب عريضة، ولها خبر في ‹سبعون› لنعيمة.

(4) كانت المعركة قد بدأت من قبل طه حسين وسلامة موسى في معركة القديم والجديد واللغة العامية، ولكنّها كانت تظل ولا تبدو، وتنهر ولا تقوم، حتّى اشتدّ أوارها في الوقت الذي ذكرناه ومن بابها حمي الوطيس على يد طه حسين، وهو الذي فتح فتوحا من الشر في أبواب متعددة منها ترجمة قصص الجنس وقصص اليونان القديمة المسرفة في الإباحية، كما ترجم شعر المنحرف (بودلير)..

(5) هو الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (1596 - 1650 م) الذي قرّر أن الرياضيات والعلم الطبيعي هو العلم الوحيد الذي يقدم لنا معرفة يقينيّة، أشهر كتبه مقال له سمّاه ‹مقال في المنهج› وطرح فيه مبدأ -الشك المنهجي- وهو الشك في أي شيء يقبل الشك، وهو يعتبر أنّ ثمّة أمور يتبين صدقها عن طريق النّور الفطري، وهي غير قابلة للشك، وبهذا رفض مقولة التّخلّي عن كلّ موروثات الباحث بحجّة الموضوعيّة، وهي النّقطة التي لم يفهمها طه حسين بل خالفها كلّ المخالفة في كتابه المذكور ‹في الشّعر الجاهلي›.. وديكارت هو صاحب -الكوجيتو- (أنا أفكّر إذا أنا موجود).. وهو كمعاصره فرنسيس بيكون يعتبران أساس نهضة أوربا الصّناعيّة بعد تحرير أفكارها من التّصوّرات الأرسطيّة القديمة

والبلاغة، والقرآن الكريم تحدّى العرب في أعظم قواهم وملكاتهم وهي ملكة البيان والبلاغة، فإذا تمّ نفي الدّليل على هذه القوّة والملكة سقط معنى التّحدّي الوارد في القرآن الكريم.

طه حسين في هذا الكتاب الذي أصدره سنة 1926م صرّح باعتماده على مبدأ الشكّ الدّيكارتي في مبحثه في أصول الشّعر الجاهلي، وقال فيه أنّه للوصول إلى الحقيقة لا بدّ أن (يتجرّد الباحث من كلّ شيء كان يعلمه من قبل وأن يستقبل موضوع بحثه خالي الذّهن ممّا قيل فيه خلوًا تامًا)، وصرّح بأنّه يجب علينا (حين نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه أن ننسى قوميّتنا وكلّ مشخّصاتنا، وأن ننسى ديننا وكلّ ما يتّصل به، وأن ننسى ما يضادّ هذه القوميّة وما يضادّ هذا الدّين، يجب أن لا نتقيّد بشيء، ولا نذعن لشيء إلاّ مناهج البحث العلمي الصّحيح، ذلك أنّا إذا لم ننسى قوميّتنا وديننا وما يتّصل بهما فسنضطرّ إلى المحاباة وإرضاء العواطف وسنغلّ عقولنا بما يلائم هذه القوميّة وهذا الدّين، وهل فعل القدماء غير هذا؟ وهل أفسد علم القدماء شيء غير هذا؟) وفي نفيه لحقيقة إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام يقول: (للتّوراة أن تحدّثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدّثنا عنهما أيضا، ولكن ورود هذين الإسمين في التّوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التّاريخي) (6).

إلاّ أنّ الشّيء الذي كتمه ولم يعترف به أنّ مسألة التّشكيك بالشّعر الجاهلي قد سرقها من المستشرق مرجليوث (7).

وكان طه حسين يقوم بإلقاء هذه المفاهيم على طلبة السّنة الأولى في كليّة الآداب في الجامعة المصريّة، وقبل أن تقوم العواصف الإيمانيّة ضدّ كتاب «في الشّعر الجاهلي» وتتوالى الرّدود عليه من كلّ حدب وصوب بعد طباعته، كانت هناك قبل ذلك معركة خفيّة

---

(6) هذه النّصوص مأخوذة من كتاب «الإتّجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر» للدكتور محمّد محمّد حسين رحمه الله تعالى.

(7) اسمه دافيد صموئيل مرجليوث (1858-1940 م) انجليزي، كان أستاذا في أكسفورد، اهتمّ بالدّراسات العربيّة والسامية، كتب بحثا عن أوراق البردي العربية في مكتبة بودلي بأكسفورد، وترجم قسما من البيضاوي، ونشر رسائل المعرّي، أهمّ كتبه في باب الإستشراق: «محمّد ونشأة الإسلام» ظهر سنة 1905م، ثمّ أتبعه بكتاب سمّاه: «المحمّديّون» وترجم باسم الإسلام وذلك سنة 1914 م، حاقد متعصّب، نقم عليه زملاؤه من المستشرقين لوضوح كذبه، وكثرة تزويراته، ومع كلّ هذا اختير عضواً مراسلاً لمجمع اللّغة العربيّة/ دمشق سنة 1920 م!! وذلك بعد أن سيطر عليها أنصار العامية وأعداء اللغة من أمثال طه حسين وأحمد لطفي السيد وعبد العزيز فهمي وأمين الخولي.. وقد وصل بعض هؤلاء إلى رئاسة المجمع.

تدور رحاها داخل الجامعة في نَفْس شاب لم يكمل السّادسة عشر من عمره، كان هذا الشّاب قد قرأ رأي مرجليوث الذي نشره في بحث بعنوان ‹أصول الشّعر العربي›، وكان لطه حسين يد على هذا الشّاب بإدخاله في كلّيّة الآداب مع دراسته في الفرع العلمي، ولكنّ الطّالب وجد في أستاذه الخيانة للعلم ولحقّ الكلمة، هذا الشّاب كان الشّيخ محمود محمّد شاكر رحمه الله تعالى.

محمود شاكر يصف المحنة: ....

وقد وصف محمود شاكر -رحمه الله- هذه الفترة تفصيلا في المقدّمة الجديدة لكتابه ‹المتنبي› حيث يقول (8):- (... كان ما كان، ودخلنا الجامعة، بدأ الدكتور طه يلقي محاضراته التي عُرفت بكتاب «في الشعر الجاهلي» ومحاضرة بعد محاضرة، ومع كل واحدة يرتدُّ إليّ رَجعٌ من هذا الكلام الأعجمي الذي غاص في يمّ النسيان! وثارت نفسي، وعندي الذي عندي من المعرفة بخبيئة هذا الذي يقوله الدكتور طه = عندي الذي عندي من هذا الإحساس المتوهج بمذاق الشعر الجاهلي، كما وصفته آنفاً، والذي استخرجته بالتذوّق، والمقارنة بينه وبين الشعر الأمويّ والعباسي. وأخذني ما أخذني من الغيظ، وما هو أكبر وأشنع من الغيظ، ولكني بقيتُ زمنا لا أستطيع أن أتكلم.

تتابعت المحاضرات، والغيظ يفور بي والأدب الذي أدّبنا به آباؤنا وأساتذتنا يمسكني، فكان أحدنا يهاب أن يكلّم الأستاذ، والهيبة معجزة، وضاقت عليّ المذاهب، ولكن لم تخلُ أيامي يومئذ في الجامعة من إثارة بعض ما أجدُ في نفسي، في خفوت وتردّد. وعرفت فيمن عرفت من زملائنا شاباً قليل الكلام، هادئ الطباع، جمّ التواضع، وعلى أنه من أترابنا، فقد جاء من الثانوية عارفا بلغات كثيرة، وكان واسع الإطّلاع، كثير القراءة، حسَن الإستماع، جيّد الفهم، ولكنه كان طالبا في قسمِ الفلسفة، لا في قسم اللغة العربية. كان يحضُر معنا محاضرات الدكتور، وكان صفوه وميله وهواه مع الدكتور طه ذلك هو الأستاذ الجليل محمود محمد الخضيري. نشأت بيني وبينه مودّة، فصرت أحدّثه بما عندي، فكان يدافع بلين ورفق وفهم، ولكنّ حدّتي وتوهّجي وقسوتي كانت تجعله أحيانا يستمع ويصمت فلا يتكلّم. كنّا نقرأ معاً، وفي خلال ذلك كنت أقرأ له من دواوين شعراء

---

(8) مقدمة المتنبي ص13 وما بعدها.

الجاهلية، وأكشف له عما أجد فيها، وعن الفروق التي تميز هذا الشعر الجاهلي من الشعر الأموي والعباسي. وجاء يوم ففاجأني الخضيري بأنه يحب أن يصارحني بشيء. وعلى عادته من الهدوء والأناة في الحديث، ومن توضيح رأيه مقسّما مفصّلاً، قال لي: إنه أصبح يوافقني على أربعة أشياء:

الأول: أن اتكاء الدكتور على «ديكارت» في محاضراته، اتكاء فيه كثير من المغالطة، بل فيه إرادة التهويل بذكر ديكارت الفيلسوف (9)، وبما كتبه في كتابه «مقال عن المنهج» وأن تطبيق الدكتور لهذا المنهج في محاضراته، ليس من منهج ديكارت في شيء.

الثاني: أن كل ما قاله الدكتور في محاضراته، كما كنت أقول له يومئذ، ليس إلا سطوًا مجرّدا على مقالة مرجليوث، بعد حذف الحجج السخيفة، والأمثلة الدالة على الجهل بالعربية، التي كانت تتخلّل كلام ذاك الأعجميّ وأن ما يقوله الدكتور لا يزيد على أن يكون «حاشية» وتعليقا على هذه المقالة.

الثالث: أنه، على حداثة عهده بالشعر وقلّة معرفته به، قد كان يتبيّن أن رأيي في الفروق الظاهرة بين شعر الجاهلية وشعر الإسلام، أصبح واضحاً له بعض الوضوح وأنه يكاد يحسُّ بما أحسُّ به وأنا أقرأ له الشعر وأفاوضه فيه.

الرابع: أنه أصبح مقتنعا معي أن الحديث عن صحة الشعر الجاهلي، قبل قراءة نصوصه قراءة متذوقة مستوعبةً، لغو باطل وأن دراسته كما تُدرسُ نقوش الأمم البائدة واللغات الميتة، إنما هو عبث محضٌ.

وافق أن جاء حديثه هذا في يوم من أيّامي العصيبة. فالدكتور طه أستاذي، وله عليّ حقُ الهيبة، هذا أدبُنا. وللدكتور طه عليّ يدٌ لا أنساها، كان مدير الجامعة يومئذ، «أحمد لطفي السيد» يرى أن لا حق لحامل «بكالوريا» القسم العلمي في الإلتحاق بالكليات الأدبية، ملتزما في ذلك بظاهر الألفاظ!! فاستطاع الدكتور طه أن يحطّم هذا العائق بشهادته لي، وبإصراره أيضا. فدخلت يومئذ بفضله كلية الآداب، قسم اللغة العربية، وحفظُ الجميل أدب لا ينبغي التهاون فيه. وأيضاً، فقد كنتُ في السابعة عشرة من عمري، والدكتور طه في السابعة والثلاثين، فهو بمنزلة أخي الأكبر، وتوقير السن أدب ارتضعناهُ

---

(9) لاحظ أنّ هذا الكلام يدل على أنه مجرّد ذكر رجل أعجمي كاف للاستدلال وتحقيق الأثر في نفس السّامع، وهو يدلك على مدى الإنبهار الذي كان يعيشه الطلبة والأساتذة لما يقوله الأعاجم.

مع لبان الطفولة. كانت هذه الآداب تفعل بي فعل هوى المتنبي بالمتنبّي حيث يقول:

رَمَى، واتَّقَى رَمْيِي، ومِنْ دُونِ مـا اتَّقَى
هَوًى كـاسِرٌ كَفِّي، وقَـوْسِي، وأَسْـهُمِي

فلذلك ظللت أتجرّع الغيظ بحتاً، وأنا أصغي إلى الدكتور طه في محاضراته، ولكني لا أستطيع أن أتكلّم. لا أستطيع أن أناظره كِفاحا، وجهاً لوجه، وكل ما أقوله، فإنما أقوله في غيبته لا في مشهده. تتابعت المحاضرات، وكل يوم يزدادُ وضوحُ هذا السطْو العُريان على مقالة مرجليوث، ويزدادُ في نفسي وضح الفرق بين طريقتي في الإحساس بالشعر الجاهلي، وبين هذه الطريقة التي يسلكها الدكتور طه في تزييف هذا الشعر. وكان هذا «السطو» خاصة ممّا يهزّ قواعد الآداب التي نشأت عليها هزًّا عنيفاً، بدأت الهيبة مع الأيام تسقُط شيئا فشيئا، وكدت ألقي حفظ الجميل ورائي غير مُبال، ولم يبق لتوقير السن عندي معنًى، فجاء حديث الخضري، من حيث لا يريدُ أو يتوقع، لينسف في نفسي كل ما التزمت به من هذه الآداب. وعجب الخضري يومئذ، لأني استمعت لحديثه، ولم ألقَهُ لا بالبشاشة ولا بالحفاوة التي يتوقعها، وبقيت ساكتاً، وانصرفت معه إلى حديث غيره.

وفي اليوم التالي جاءت اللحظة الفاصلة في حياتي. فبعد المحاضرة، طلبت من الدكتور طه أن يأذنَ لي في الحديث، فأذن لي مبتهجاً، أو هكذا ظننتُ. وبدأتُ حديثي عن هذا الأسلوب الذي سمّاهُ «منهجاً»، وعن تطبيقه لهذا «المنهج» في محاضراته، وعن هذا «الشك» الذي اصطنعه، ما هو، وكيف هو؟ وبدأت أدلل على أن الذي يقوله عن «المنهج» وعن «الشك» غامض، وأنه مخالف لما يقوله ديكارت، وأن تطبيق منهجه هذا قائم على التسليم تسليماً لما يداخله الشك، بروايات في الكتب هي في ذاتها محفوفة بالشك! وفوجئ طلبة قسم اللغة العربية، وفوجئ الخضيري خاصة. ولما كدت أفرغ من كلامي، انتهرني الدكتور طه وأسكتني، وقام وقمنا لنخرج. وانصرف عنّي كل زملائي الذي استنكروا غضاباً ما واجهت به الدكتور طه، ولم يبق معي إلا محمود محمد الخضيري، (من قسم الفلسفة كما قلت). وبعد قليل أرسل الدكتور طه يناديني، فدخلت عليه وجعل يعاتبني، يقسُو حيناً ويرفُقُ أحياناً، وأنا صامت لا أستطيع أن أردّ. لم أستطع أن أكاشفه بأن محاضراته التي نسمعها كلّها مسلوخة من مقالة مرجليوث، لأنها مكاشفة جارحة من صغير إلى كبير، ولكني كنتُ على يقين من أنه يعلم أنّي أعلمُ، من خلال ما أسْمع من حديثه، ومن صوته، ومن كلماته، ومن حركاته أيضا !اوكتمان هذه الحقيقة في نفسي كان

يزيدني عجزًا عن الردّ، وعن الإعتذار إليه أيضا، وهو ما كان يرمي إليه. ولم أزل صامتاً مُطْرقاً حتى وجدت في نفسي كأني أبكي من ذُلّ العجز، فقمت فجأة، وخرجت غير مودّع ولا مبال بشيء. وقُضي الأمر! ويبس الثرى بيني وبين الدكتور طه إلى غير رجعة!

ومن يومئذ لم أكفّ عن مناقشة الدكتور في المحاضرات أحيانا بغير هيبة، ولم يكف هو عن استدعائي بعد المحاضرات، فيأخذني يمينا وشمالا في المحاورة، وأنا ملتزم في كل ذلك بالإعراض عن ذكر سطوه على مقالة مرجليوث، صارفا همّي كله إلى موضوع «المنهج» و«الشك» وإلى ضرورة قراءة الشعر الجاهلي والأموي والعباسي قراءة متذوّقة مستوعبة، ليستبين الفرق بين الشعر الجاهلي والإسلامي قبل الحديث عن صحة نسْبة هذا الشعر إلى الجاهلية، أو إلتماس الشُبه لتقرير أنه باطل النسبة، وأنه موضوع في الإسلام، من خلال روايات في الكتب هي في ذاتها محتاجة إلى النظر والتفسير. ولكنيّ من يومئذ أيضا لم أكفّ عن إذاعة هذه الحقيقة التي أكتُمها في حديثي مع الدكتور طه، وهي أنه سطا سطْوًا كريهاً على مقالة المستشرق الأعجمي، فكان، بلا شك، يبلغه ما أذيعه بين زملائي. وكثُر كلامي عن الدكتور طه نفسه، وعن القدْر الذي يعرفُه من الشعر الجاهلي، وعن أسلوبه الدال على ما أقول. واشتدّ الأمر، حتى تدخل في ذلك، وفي مناقشتي، بعض الأساتذة، كالأستاذ نلّينو (10)، والأستاذ جويدي (11) من المستشرقين، وكنت أصارحهما بالسطو، وكانا يعرفان، ولكنهما يداوران. وطال الصراعُ غير المتكافئ بيني وبين الدكتور طه زماناً، إلى أن جاء اليوم الذي عزمتُ فيه على أن أفارق مصر كلها، لا الجامعة وحدها،

---

(10) هو كارلو ألفونس نلّينو (1872-1938م) مستشرق إيطالي، درس اللّغة العربيّة دون أستاذ وهو فتي، ودرس العبريّة والسّريانيّة، كان أوّل كتبه «قياس الجغرافيين العرب لخطوط الزوال»، دعته الجامعة المصرية القديمة سنة 1909 لإلقاء محاضرات في تاريخ الفلك عند العرب باللغة العربية، ونشرت محاضراته بعد ذلك في كتاب تحت عنوان «علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى» سنة 1911، وكتب وهو في الثالثة والعشرين مقالا سماه «نظام القبائل العربية في الجاهلية»، كان يقول- (لا أريد أن يغريني شيء على الخروج من دراسة العرب وحدهم إلى دراسة أخرى، ولكني أريد أن أعرف عن العرب كلّ شيء)، لجأت إليه وزارة المستعمرات الإيطالية لتستعين بخبرته ومعرفته بأحوال العالم الإسلامي، فعيّن مديراً للجنة تنظيم المخطوطات العثمانية ولمكتب الترجمة، تولّى الإشراف على مجلّة (الدراسات الشرقية)، دعي للتّدريس في الجامعة المصرية مرة ثانية فيما بين 1928-1931 لتدريس تاريخ اليمن بكلية الآداب، وعين عضوا في المجمع اللّغوي سنة 1932، مدحه طه حسين في كتابه «في الشّعر الجاهلي»، وغيره وبقي معظّما له إلى آخر عمره.. وطه حسين يعد تلميذا له. انظر دراسة د. يوسف بكار بعنوان «أوراق نقدية جديدة عن طه حسين» المبحث الأول (خصوصية الذات ونفوذ الآخر) عن مدى تأثّر طه حسين بهذا المستشرق.

(11) اجنتيسو جويدي (1844-1935م) مستشرق إيطالي، ويسمّى جويدي الكبير تمييزا له عن ابنه ميكلنجلو، اهتمّ بالدراسات السامية وخاصة العربية الحبشية والعبرية. =

غير مبال بإتمام دراستي الجامعية، طالبًا للعزلة، حتى أستبين لنفسي وجه الحق في «قضية الشعر الجاهلي» بعد أن صارت عندي قضية متشعبّة كل التشعُّب (12).

ولطبيعة خاصّة لهذا الرّجل قرّر أن يترك الجامعة بعد أن سقطت هيبتها من نفسه، وعجز أن يحتمل هذا الفساد الذي رآه في أساتذته ومعلّميه.

فمن هو محمود محمد شاكر - أبو فهر :

والده هو محمّد شاكر (توفّي سنة 1929م) شيخ أزهري كان وكيلا للجامع الأزهر (1909إلى 1912م)، وأمّه بنت الشّيخ هارون عبد الرّزّاق (توفّي سنة 1918م) والد المحقّق عبد السّلام هارون، والشّيخ محمود محمّد شاكر هو شقيق المحدّث الإمام الشّيخ أحمد شاكر صاحب الجهود العظيمة في خدمة السّنّة النّبويّة، ولا بأس من الإستطراد قليلا في ترجمة الشّيخ أحمد شاكر شقيق المترجم أبي فهر (13).

المحدّث العلاّمة الشّيخ أحمد محمّد شاكر: ....

كنّاه والده شمس الأئمّة أبا الأشبال، ولد سنة (1892م)، ولمّا عيّن والده قاضيا للقضاة في السّودان سنة (1900م) رحل بولده معه هناك وألحقه بكلّيّة (غوردن) -وهي كلية أسسها الإنجليز سنة (1903م) في الخرطوم، وسمّيت باسم الضابط الإنجليزي تشارلز غوردن الذي يعرف باسم غوردن باشا، وكان قد قُتل في السودان لما استولى المهدي السوداني على الخرطوم سنة (1885م)- فبقي أحمد شاكر تلميذا بها حتى عاد أبوه من السّودان، وتولّى مشيخة علماء الإسكندريّة سنة (1904م) فألحق ولده أحمد من يومئذ

= دعي سنة 1908-1908 ليكون أستاذا في الجامعة المصرية القديمة، نشر بعض المخطوطات القديمة مثل ‹شرح ابن هشام لقصيدة -بانت سعاد› وكتاب ‹الإستدراك لأبي بكر الزبيدي، وكتاب ‹الأفعال› لابن القوطية، وبعض تاريخ الطبري، ولما احتلت إيطاليا ليبيا، كلفته وزارة المستعمرات الإيطالية بالاشتراك في ترجمة ‹مختصر سيدي خليل› في الفقه المالكي إلى اللغة الإيطالية، فتولى ترجمة قسم العبادات.. ويعد طه حسين من تلاميذه.

(12) ‹المتنبي› ص13-17.

(13) ترجمة الشّيخ أحمد شاكر والكثير من ترجمة أخيه محمود أخذنا من كتاب ‹محمود شاكر - الرجل والمنهج› للأستاذ عمر حسن القيام، من إصدارات دار البشير ومؤسّسة الرّسالة.

بمعهد الإسكندريّة الذي يتولاّه، وكان لوالده أكبر الأثر في تربيته، فقد قرأ له ولإخوانه تفسير البغوي وتفسير النّسفي، وقرأ لهم صحيح مسلم وسنن التّرمذي والشّمائل له وبعض صحيح البخاري، وقرأ لهم في أصول الفقه جمع الجوامع للسّبكي وشرح الأسنوي على المنهاج للبيضاوي وقرأ لهم في المنطق شرح الخبيصي على القطبيّة، وقرأ لهم في الفقه الحنفي كتاب الهداية للمرغيناني، وحين انتقل والده إلى القاهرة سنة 1909م التحق أحمد شاكر بالأزهر، وهناك بدأت رحلة الطّلب على يد مشايخ الأزهر وعلماء القاهرة، وفي سنة 1917م حاز أحمد شاكر على الشّهادة العالميّة من الأزهر وعيّن في بعض الوظائف، ثمّ أصبح قاضيا سنة 1951م ثمّ رئيسا للمحكمة الشّرعيّة العليا وهي آخر وظائفه، وقد كانت هذه الفترة هي فترة التّقنين للتّشريعات الجاهليّة وتسويغها عن طريق أزلامها في الصّحافة والمنتديات، فكان خلال ذلك كلّه يكتب المقالات والرّسائل التي تهاجم هذه الرّدّة الجديدة، وقد جمعت هذه الأبحاث في كتابين له هما: ‹كلمة حق› و ‹حكم الجاهليّة›.

وكان اهتمامه بالسّنّة عظيما حيث بدأ في تحقيق كتبها والعناية بها، فحقّق كتاب الإمام العظيم محمّد بن إدريس الشافعي في أصول الفقه المسمّى بـ ‹الرّسالة› وقدّم له مقدّمة ضافية، ونشر كتاب ‹جماع العلم› وهو في الأصول كذلك، وكتاب ‹الخراج› ليحيى بن آدم القرشي، وخرّج أحاديثه، واعتنى بشرح الطّحاويّة لابن أبي العزّ الحنفي، ونشر مجلّدين من سنن التّرمذي والمجلّد الأوّل من صحيح ابن حبّان والمحلّى لابن حزم والإحكام في أصول الأحكام له، وفي سنة 1946م شرع الشّيخ رحمه الله في تحقيق مسند الإمام أحمد بن حنبل والذي لم يتمّ منه إلاّ ثلثه حيث وافته المنيّة قبل الإنتهاء منه، وشارك أخاه محمودا في تحقيق تفسير الطّبري الذي لم يتمّ، واختصر تفسير ابن كثير بروح نقديّة عالية سمّاه عمدة التّفسير.. والشيخ محمود شاكر يعتبر أنّ كتاب ‹الطّلاق في الإسلام› الذي كتبه أخوه أحمد شاكر، هو من أفضل كتبه لما تحلّى به من روح الإجتهاد وقوّة الملكة الفقهيّة، وما زال الشّيخ أحمد شاكر يعتبر إماما في الحديث، وتزداد مرتبة التّقدير له من المهتمّين بالسّنّة يوما بعد يوم.

وكان لأحمد شاكر رحمه الله تعالى جهود في نشر كتب اللّغة والأدب حيث نشر كتاب ‹الشعر والشّعراء› لابن قتيبة، و‹لباب الآداب› لأسامة بن منقذ، و ‹المعرّب› للجواليقي، و‹اصلاح المنطق› لابن السكّيت، و‹الأصمعيّات› و‹المفضليّات›، وكان يستعين في تحقيق كتب الأدب بأخيه محمود، وهذه الكتب الأخيرة شاركه فيها ابن خاله عبد السّلام هارون.

وفي يوم السّبت 14 يونيو 1958م أتته منيّته ومضى لسبيله، رحمه الله تعالى وأسبغ عليه رحمته ورضوانه.

وللشيخ شقيق آخر اسمه علي كان قاضيا شرعيا.

عودة إلى الشّيخ محمود شاكر: ....

ولد سنة 1909م وتلقّى أوّل تعليمه في مدرسة الوالدة أمّ عبّاس في القاهرة سنة 1916م.. وبعد ثورة 1919م انتقل إلى مدرسة القربيّة بدرب الجماميز، ثمّ دخل المدرسة الخديويّة الثّانويّة سنة 1921م، ولنترك محمود شاكر يحدّثنا عن هذا النّظام المدرسي المسمّى بـ (الأكاديمي) وكيف كانت نظرته له وما هي مشاعره عندما انتظم طالبا في هذه المدارس..

مدارس (دنلوب*) وجرائمها في حقّ النّشء تعليما وتربية: ....

يقول رحمه الله تعالى:- فمنذ بدأت أعقل بعض هذه الدّنيا، وأرى سوادها وبياضها بعين باصرة، شغلتني الكلمة وتعلّق قلبي بها، لأنّي أدركت أوّل ما أدركت أنّ (الكلمة) هي وحدها التي تنقل إليّ الأشياء التي أراها بعينيّ وتنقل إليّ أيضا بعض علائقها التي تربط بينها، والتي لا أطيق أن أراها بعيني... ثمّ قذف بي أبي -رحمه الله- إلى المدرسة (14)، فلا أزال أذكر أوّل ساعة دخلتها، ولا أزال أذكر ذلك الرّعب الذي فضّ نفسي وهالني، حين صكّ سمعي ذلك الصّوت المبهم البغيض إليّ منذ ذلك الحين، صوت الجرس(15)! صوت مصلصل، مؤذٍ، جاف، أبكم أعجم لا معنى له، وإذا هو غلّ يطوّقني ويشلّ إرادتي، رنين منكر سرى بالفزع في نفسي، وردّد الوجيب الوخاز في قلبي ، كدت أكره المدرسة من يومئذ من جرّاء هذا الجرس الأعجمي الخبيث... هكذا أخذني أوّل البلاء، ثمّ زاد وربا حين

---

(14) تأمل في كلمة -قذف- ففيها الكثير من المعاني التي يريد الشيخ أن يكشفها للناس.

(15) في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس.. وفيه كذلك:- الجرس مزامير الشيطان.. وفي سنن أبي داود: لا تدخل الملائكة بيتا فيه جرس .

* دنلوب: المندوب الإنجليزي المسمّى كذبا بـ (السامي) على مصر في فترة الاحتلال.. وكان قسّا حاقدا.

ساقونا إلى الفصول كالقطيع صفوفا صفوفا، ولكن لم يلبث فزعي أن تبدّد بعد أن دخلنا الفصل، واستقرّ بنا الجلوس، ثمّ بدأ الدّرس الأوّل على الرّيق، وهو درس اللّغة الإنجليزيّة! ونسيت كلّ ما نالني حين سمعت هذه الحروف الغريبة النّطق التي لم آلفها، وفتنتني وغلبني الإهتمام بها، وجعلت أسارع في ترديدها وحفظها. إغتالت هذه الحروف الجديدة وكلماتها كلّ همّتي، إغتالتها بالفرح المشوب بطيش الطّفولة، وكان حبّ الجديد الذي لم آلفه قد بزّ حسن الإنتباه إلى القديم الذي ألفته منذ ولدت، فقلّ انتباهي إلى لغتي العربيّة، قصر انتباهي إليها، بل لعلّي استثقلتها يومئذ وكدت أنفر منها، وكذلك صرت في العربيّة ضعيفا جداً، لا أكاد اجتاز امتحانها إلاّ على عسر، وعلى شفى، وهكذا أنفذ (دنلوب) اللّعين أوّل سهامه في قلبي من حيث لا أشعر، ودرجت على ذلك أربع سنوات في التّعليم الإبتدائي، والبلاء يطغى عليّ عاما بعد عام، ولكن كان من رحمة الله بي أن أدركتني ثورة مصر في سنة 1919م (16) وأنا يومئذ في السّنة الثّالثة، فلمّا كانت السّنة الرّابعة سقطت في امتحان -الشّهادة الإبتدائيّة-... وصنع الله لي حيث سقطت، وأحسن بي إذ ملأ قلبي ملئا من الدّروس المعادة، واتّسع الوقت فصرت حرّا أذهب حيث يذهب إخوتي الكبار إلى الأزهر، حيث أسمع خطب الثّوّار، وأدخل (رواق السّناريّة) وغيره بلا حرج، وفي هذا الرّواق سمعت أوّل ما سمعت مطارحة الشّعر، وأنا لا أدري ما الشّعر إلاّ قليلا، وكتب الله لي الخير على يد أحد أبناء خالي، ممّن كان يومئذ مشتغلا بالأدب والشّعر، فأراد يوما أن يتّخذني وسيلة إلى شيء يريده من عمّته، التي هي أمّي رحمها الله، فأبيت إلاّ أن يعطيني هذا الدّيوان الذي سمعتهم يقرأون شعره ويتناشدونه، وقد كان، فأعطاني ديوان المتنبّي بشرح الشّيخ اليازجي، وكان مشكولا مضبوطا جيّد الورق، فلم أكد أظفر به حتّى جعلته وردي، في ليلي ونهاري، حتّى حفظته يومئذ، وكأنّ عينا دفينة في أعماق نفسي قد تفجّرت من تحت أطباق الجمود الجاثم، وطفقت أنغام الشّعر العربي تتردّد في جوانحي، وكأنّي لم أجهلها قطّ، وعادت الكلمة العربيّة إلى مكانها في نفسي (17).

وما قاله الشّيخ هو تصوير لواقع التّعليم في بلادنا المنكوبة بسياسة زنادقة همّهم نزع مقوّمات وجودنا، وخصائص هويّتنا، حتّى ينشأ جيل مبتور عن تاريخه ودينه، وإنّ أقصر الطّرق لهذه الجريمة البشعة هو حرف النّاس عن العربيّة والتي هي وعاء هذا الوجود،

(16) حركة شعبيّة بدأها مشايخ وعلماء الأزهر ضدّ الإحتلال الإنجليزي، وانضمّت لها كلّ طوائف الشّعب وكانت إسلاميّة المنطلق ولم تحقّق نتائجها بسبب القيادة الفاسدة التي تولاّها بعد ذلك سعد زغلول.

(17) أباطيل وأسمار لمحمود شاكر 2/555-557.

وحامية هذه الهويّة، وبدونها لن يكون إحساس المسلم بدينه، ولن يدرك تاريخه كما هو، وهذا هو واقع من اضطلع في آداب الغير وانتهج سبل علومهم في البحث والدّراسة، رأيناه من أشدّ النّاس نقمة على هذا الدّين وإذا بحث فيه فإنّه يزوّره ويكذب عليه ولا يخرج منه بالهداية التي هي معقد هذا الدّين ولبّه وحقيقته.

ثمّ بيّن الشّيخ أنّ هذا الإحساس بالكلمة العربيّة لم يزحزح شيئا من الكلمة الإنجليزيّة التي غرسها دنلوب اللّعين في غضارة الفتى اللّيّن، ثمّ ازداد إحساسه بالرّياضيّات كمنافس جديد في نفسه، فآثره محمود شاكر على غيره، ولأجل ذلك التحق بالقسم العلمي ونال درجة البكالوريا سنة 1925م.

تتلمذ الشّيخ على أئمّة الأدب: ....

وفي أثناء ذلك اتّصلت أسباب محمود شاكر بأسباب اثنين من كبار العلم بالأدب هما:- سيّد بن علي المرصفي، ومصطفى صادق الرّافعي، والمرصفي إمام من أئمّة العربيّة في زمانه، وحامل أمانتها، كان من جماعة كبار العلماء في الأزهر، وتولّى تدريس العربيّة فيه إلى أن نالت منه الشّيخوخة، وكسرت ساقه فاعتكف بمنزله بالقاهرة يدرس طلابه الذين كانوا يقصدونه إلى أن توفّي (سنة 1931م).. وقد انتفع به الكثير من الأدباء والنّقاد والمفكّرين كأحمد حسن الزّيّات، وحسن السندوبي، وأحمد محمّد شاكر وعلي الجارم، وعبد الرّحمن البرقوقي وهو صاحب كتاب ‹رغبة الآمل في كتاب الكامل› و‹أسرار الحماسة›، ففي سنة 1922م اتّصل محمود شاكر بالمرصفي، فحضر دروسه التي كان يلقيها بعد الظّهر في جامع السّلطان برقوق، ثمّ قرأ عليه في بيته ‹الكامل› للمبرد و‹الحماسة› لأبي تمّام وشيئا من ‹الأمالي› لأبي علي القالي، وبعض أشعار الهذليّين.

أمّا الرّافعي (1881-1937م) فهو من هو، وصفه شاكر بقوله:- «الرّافعي كاتب حبيب إلى القلب، تتنازعه إليه أسباب كثيرة من أخوّة في الله، ومن صداقة في الحبّ، ومن مذهب متّفق في الرّوح، ومن نيّة معروفة في الفنّ، ومن إعجاب قائم بالبيان..» وقال عنه في رسالة وجّهها إليه أنّه:- "ملجأ يعتصم به المؤمنون حين تناوشهم ذئاب الزّندقة الأدبية التي جعلت همّها أن تلغ ولوغها في البيان القرآني".. وقد قويت الصّلة بينهما جدّا حتّى قال شاكر عن الرّافعي أنّه صار: ميراثا نتوارثه، وأدبا نتدارسه، وحنانا نأوي إليه.

وبعد انتهاء البكالوريا التحق شاكر بالجامعة كما تقدّم في كلّيّة الآداب وقسم اللّغة العربيّة، وهناك كانت البداية في معركته التي عاشها إلى يوم وفاته. معركته ضدّ أعداء الأمّة، وكانت ساحة هذه المعركة هي ساحة اللّغة والثّقافة والأدب. فإنّه بعد أن اكتشف أمر أستاذه وسقطت هيبة الجامعة من نفس الفتى قرّر تركها وراءه غير آسف عليها، وقد حاول أساتذته ثنيه عن هذا، ولكن صلابة الفتى أبت إلاّ الفراق، فكان له، وفي عام 1928م شدّ الرّحال إلى الحجاز، وهناك أنشأ مدرسة (جدّة) وعمل مديرا لها ولكن بعد سنتين عاد إلى القاهرة.

وخلال المدّة (1929- 1935م) كان شاكر يعيش في شبه عزلة أعاد خلالها قراءة تراث العربيّة طلبا لليقين في قضايا كثيرة، وكانت قضيّة الشّعر الجاهلي تستبدّ بمعظم اهتمامه فأجاز لنفسه أن يسمّي هذه المرحلة من حياته بـ(محنة الشّعر الجاهلي)، وخلال هذه الفترة كان يكتب بعض المقالات في الصّحف والمجلاّت، وقد وصف معاناته في تلك الأيّام أنّها كانت «تطغى كالسيل الجارف يهدم السدود، ويقوض كل قائم في نفسي وفي فطرتي»(18).

تأليف كتاب ‹المتنبّي›: ....

سنة 1935م انتدبته مجلة (المقتطف) -لصاحبها فؤاد صرّوف- إلى كتابة كلمة عن (المتنبّي) في الذّكرى الألف لوفاته، فلبّى شاكر الدّعوة، وتمّ الإتّفاق على أن تكون الكلمة ما بين عشرين إلى ثلاثين صفحة من صفحات المقتطف، وقد وصف هذه التّجربة في المقدّمة الجديدة لكتابه ‹المتنبي› وأفاض فيها.. كما ذكر أنه مزّق ما كتب عدّة مرّات لعدم اقتناعه بما كتب حتّى استقرّ على اكتشاف في شخصيّة المتنبي.

وقد استخدم في كتابه هذا كلّ أدواته الإبداعيّة، ومارس قدرته النّقديّة والبحثيّة في دراسة المتنبي بصورة لم يسبق إليها، وهو الفنّ الذي سمّاه بالتّذوّق، وانتهى إلى نتائج لم يقل بها أحد قبله منها:-

1- القول بعلويّة المتنبّي وهي التي تمّ اكتشافها بعد ذلك من خلال المخطوطات التي ترجمت له.

(18) إقرأ ما كان يعانيه في ما خطّه مصطفى صادق الرافعي وعلى لسان (أبي محمد البصري) في ‹وحي القلم› في مقالة (الانتحار) الرابعة، فإنّها هي المعاني التي حدثها شاكر لشيخه الرافعي عن نفسه.

2- اكتشافه حبّ المتنبّي لخولة أخت سيف الدّولة الحمداني..

وقد عمد شاكر إلى الدّخول في النّصوص الشّعريّة ودراستها دراسة تحليليّة من داخلها للوصول إلى هذه النّتائج، وهو الأمر الذي يخالف منهج الكثيرين في اعتماد الأخبار فقط لمعرفة نفسية الشّخصيّة وما يحيط بها من ظروف.

وهذا الأمر هو الذي ميّز شاكر في اعتماده للمبدأ العلميّ والذي سمّاه (التّذوّق)، ويعني به فيما يعني الغوص في كلام القائل وتحليله للخروج بالنّتائج المطلوبة.

وبكتابه هذا نشأت معركة جديدة بينه وبين الآخرين، خاصّة بينه وبين طه حسين بعد سنتين من صدوره إذ أخرج هذا الأخير كتابا سمّاه «مع المتنبّي»، واندلعت هذه المعركة في مجلّة البلاغ تحت عنوان (بيني وبين طه) بيّن فيها شاكر (عدم بصر) طه حسين بالشّعر وبسطوه على بعض ما قاله شاكر في الشّك حول والد المتنبّي سطوًا فجًا قبيحا.. وبلغت اثنتي عشرة مقالة حتّى جاءه نعي أستاذه وصديقه مصطفى صادق الرّافعي(1937م) (فانهدم في نفسي كلّ ما كان قائما، وذهب الدّكتور طه وكتابه جميعا من نفسي تحت الهدم فـ:.

ليت الحوادث باعتني الذي أخذت ... منّي، بحلمي الذي أعطت وتجريبي) (19)

في سنة 1940م شرع الشّيخ شاكر في قراءة التّراث وشرحه، فنشر كتاب «إمتاع الأسماع بما للرّسول صلّى الله عليه وسلّم من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع» للمقريزي، و«المكافأة وحسن العقبى» لأحمد بن يوسف بن الداية الكاتب، وفي هذه السّنة عهد صاحب «الرّسالة» أحمد حسن الزّيّات إلى شاكر بتحرير باب (الأدب في أسبوع)، فأجاب إلى ذلك وكتب طائفة من التّعقيبات والتّعليقات.. وفي هذه الفترة ألّف الشّعر ومنه قصيدته (تحت اللّيل) التي قال فيه:

أهيم وقلبي هائم وحشاشتي ... تهيمُ فهل يبقى الشّقي المبعثرُ؟
لئن أبقت الآمال منّي لطالما ... تقلّبتُ في آلامها أتضوّرُ
تنازعني من كلّ وجه ساحر ... يمثّل لي إقبالها ويصوّرُ
فيهوى لها بعضي، وبعضي موثق ... بأشواقه الأخرى إلى حيث تنظر

ومن شعره كذلك:

(19) مقدّمة المتنبّي ص107.

نكـــــرتك بـين ثـنـايا الـسـطـور وأضـــــمـــــرت قـلـبي بـين الألم
ولست أبوح بما قـــد كـــتـــمت ولو حـــزّ في نفـــسي حـــدّ الألم
فكم كـــتم الليل من ســـرنا وفي الليل أســـرار من قـــد كـــتم

القوس العذراء: ....

وفي سنة 1952م نشر الشّيخ محمود شاكر قصيدته الرّائعة (القوس العذراء) وهي قصيدة طويلة تبلغ مائتين وثمانين بيتا، استلهمها من قصيدة الشّمّاخ رضي الله عنه التي مطلعها:

عـفـا بطن قـوٍّ من سليـمى فـعـالز فذات الغـضـا فـالمشرفـات النّوافـز

والشّمّاخ هو ابن ضرار الغطفاني، شاعر فحل، صحابي أدرك الجاهلية ثمّ أسلم، كان أعورا، وعلى عوره كان وصّافا، أجاد وصف الحمر الوحشيّة، غزا في فتوح عمر رضي الله عنه، وشهد القادسيّة ثمّ غزا أذربيجان مع سعيد بن العاص، فاستشهد في غزوة موقان سنة أربع وعشرين من الهجرة في عهد عثمان رضي الله عنهما(20).

وفي زائيّته التي نسج الشيخ شاكر على منوالها، وصف الشّمّاخ قصّة قوّاس صنع قوسا فأتقنها حتّى كانت رميتها لا تخيب، ثمّ اضطرّه فقره إلى بيعها، فأخذ الشّيخ شاكر هذه القصّة ونسج عليها رائعة من روائع الشّعر.. جعلها واسطة بينه وبين صديق له لم تبل صداقته..

فـدع الشّـمّـاخ ينبئك عن قـوّاسـهـا البـائس من حـيث أتاها:-
أين كـــانت في ضـــمـــيـــر الغـــيب من غـــيل نماها؟
كـــيف شـــقّت عـــينه الحـجب إليـــهـــا فـــاجـــتـــبـــاها؟
كـــيف ينغل إليـــهـــا في حـــشـــا عـــيص وقـــاها؟
كـــيف أنحى نحـــوها مـــبـــراته، حـــتّى اخـــتـــلاها؟
كـــيف قـــرّت في يديه واطـــمـــأنّت لفـــتـــاها؟
كـــيف يســـتـــودعـــهـــا الشّـــمس عـــامين تراه ويراها؟

(20) من مقدّمة «القوس العذراء» للشيخ شاكر.

وفي هذه القصيدة القصصيّة استودع شاكر نظرته للحياة، وبيّن فيها صراع العاطفة مع العقل، وكيف يهزم المالُ الحبَّ، وكيف يتحطّم المثال على صخرة الواقع.. وشاكر في هذه القصيدة كأنّه يبرّر لنفسه ما أصابه من اضطراب بين مواقفه الجريئة الواضحة وبين ما كان يقع فيه من أعمال لا تستقيم مع رؤاه:-

وفاضت دموع كمثل الحميم لذّاعة نارها تستهل
بكاء من الجمرِ، جمر القلوب، أرسلها لاعج من خبل
وغامت بعينيه واستنزفت دم القلب يهطل فيما هطل
وخانقة نبحت صوته وهيض اللّسان لها واعتقل
وأغضى على ذلّة مطرقا عليه من الهمّ مثل الجبل
أقام وما أن به من حراك تخاذل أعضاؤه كالأشل

ولكن الشّيخ يختم قصيدته بالأمل، وبوجوب ترك اليأس بعد السّقوط على خلاف ما ختم الشماخ قصيدته:-

أفق يا خليلي أفق لا تكن حليف الهموم صريع العلل
فهذا الزّمان وهذي الحياة علّمتنيها قديما: دول!!
أفق لا فقدتك ماذا دهاك؟ تمتّع! تمتّع بها لا تُبَل
بصنع يديك تراني لديك، في قَدٍّ أختي! ونِعْمَ البدل
صدقت! صدقت! وأين الشّباب؟ وأين الولوع؟ وأين الأمل؟
صدقتَ، صدقتَ!! نعم صدقتُ! سِرٌّ يديك كأن لم يزل
حباك به فاطر النيّرات، وباري النّبات، ومرسي الجبل
فقم واستهلَّ، وسبّح له! ولبّ لربّ تعالى وجل

كانت هذه القصيدة ومازالت صفعة في وجه الرّاحلين عن ثقافتنا وتراثنا، مصعّرين خدودهم باحتقار وازدراء، موجّهين هاماتهم نحو اليونان والرّومان لا يعرفون إلاّ الأساطير الوثنيّة، ولا يتمثّلون إلاّ الصّور الشّركيّة لآلهتهم النّجسة، لقد كانت هذه القصيدة ومازالت محطّمة للحواجز الوهميّة التي يزعمها أهل الصّغار في عدم فهمهم للتّراث وعدم استيعابهم له، فها هو الشيخ شاكر يقتحم أكثر الحصون مناعة في الشّعر الجاهلي، شعر الشّمّاخ الذي قيل فيه:- (كان شديد متون الشّعر، أشدّ أسر كلام من لبيد، وفيه كزازة) واستخرج منه شاكر هذه اللّؤلؤة الصّافية، يستخدمها ليبث روحه فيها، ويجلّلها بمضمون فلسفي رائع، يكشف بها عن نفسه وعن آرائه وقدراته، ولذلك وقف النّقّاد وقفة احترام وتقدير لهذه القصيدة، وكثرت الدّراسات حولها، ومن هؤلاء النّقّاد:- الدكتور إحسان عبّاس، والدكتور مصطفى هدّارة، وزكي نجيب محمود (21)، ومحمّد محمّد أبي موسى ..

يقول الدكتور إحسان عبّاس عنها:- "ليست في محاولة الإبتكار بقدر ما هي في العودة إلى التّراث، وربط الحاضر بالماضي، وإبداع القوة الرمزية فيما يبدو بسيطا سانجا لأول وهلة، وفي ذلك كلّه نوع من الإبداع جديد، وبرهان ساطع على أن تطلب الرّموز في الأساطير الغربيّة عن التّراث يدلّ على جهل به، أو على استسهال لاستخدام رموز جاهزة أو عليهما معا." (22).

وفي سنة 1952م كذلك، نشر الشّيخ محمود شاكر كتاب ‹طبقات فحول الشّعراء›، وانشغل فيها بتحقيق تفسير الإمام الطّبري ‹جامع البيان وتأويل آي القرآن›، والذي شاركه فيه أخوه أحمد، فنشر منه ثلاثة عشر مجلّدا، ولكن بعد وفاة أخيه تقاعس الشّيخ محمود عن العمل في هذا التّفسير حيث أنّه خلال ثلاثة عشر عاما بعد وفاة شقيقه لم ينشر سوى ثلاثة مجلّدات ثمّ ترك العمل لخلاف حصل بينه وبين دار المعارف التي تولت نشر الكتاب.

وفي سنة 1958م كتب شاكر فصلا في إعجاز القرآن كان مقدّمة لكتاب مالك بن نبيّ

---

(21) زكي نجيب محمود مرّ في أطوار في نظرته للأمّة وتراثها.. انظر نظراته وتقلّباته في كتاب ‹الفكر الدّيني عند زكي نجيب محمود› للدكتورة منى أحمد أبو زيد، وكتابة نقده للقوس العذراء كان في طوره الأوّل قبل انتقاله لتبني الفلسفة المادية الوضعية وتأليفه كتاب ‹خرافة الميتافيزيقيا›..

(22) ‹القوس العذراء› د. إحسان عباس، نشر ضمن (دراسات عربية وإسلامية) المهداة إلى محمود محمّد شاكر، ص14 (عن ‹محمود محمّد شاكر – الرجل والمنهج› للأستاذ عمر حسن القيام). ونذكر أن ترجمة الشيخ وتاريخ الكتب التي ألّفها أكثرها ملخوذ من هذا الكتاب.

«الظّاهرة القرآنيّة»، ونشر هذا الفصل في كتاب مستقلّ «مداخل إعجاز القرآن».

الشّيخ في سجن الهالك المرتد عبد النّاصر: ....

وفي سنة 1959م سُجن الشّيخ تسعة أشهر مع إخوانه وذلك عندما تعرّض الإسلاميّون للمحنة الأولى في صدامهم مع الهالك عبد النّاصر.. وكان سبب سجنه رحمه الله وقوفه ضدّ ممارسات العسكريّين الذين استلموا الحكم بعد انقلاب 1952م(23).

وفي سنة 1962 نشر الجزء الأوّل من «جمهرة نسب قريش» للزّبير بن بكّار.

معركة «اباطيل وأسمار» وسجن الشّيخ مرّة أخرى: ....

في سنة 1964 بدأ لويس عوض -الذي عيّن مستشارا ثقافيًا لجريدة الأهرام -ينشر مقالات تحت عنوان: (على هامش الغفران- شيء من التّاريخ) مزج في مقالاته خبث الطّويّة التي كان مبناها على نصرانيّة الأصل، وتربية في الغرب، مع جهل بتاريخ الأمّة ولغتها، فاشتعلت حميّة الشّيخ محمود شاكر لمّا رأى:-

كشيش أفعى أجمعت لعضٍّ فهي تحكّ بعضها ببعض

وإذا هو أسود سالخ (وهو أقتل ما يكون من الحيّات) يمشي بين الألفاظ فيسمع لجلده حفيف، ولأنيابه جرش، فما زلت أنحدر مع الأسطر والصّوت يعلو، يخالطه فحيح، ثمّ ضباح، ثمّ صفير، ثمّ نباح (وكلّها من أصوات الأفاعي) (23) .. بهذا قرّر الشّيخ أن يترك عزلته عن الكتابة، ويمسح عن قلمه الصّدأ الذي أصابه، ويخرج وقد لبس لأمّته ليكشف ما

---

(22) أشار الأستاذ عمر حسن القيام في كتابه «محمود شاكر - الرجل والمنهج» إلى عدم الإعتماد على الشّيخ في تقييمه للأمور السّياسيّة، ووقوع الإضطراب فيها، ومثّل على ذلك بنظرة الشّيخ إلى حركة العسكر ضد فاروق، وهذا حقّ، ومثله كذلك مدحه لفؤاد صروف صاحب (المقتطف)، وهو إنجليزي الهوى والميل، ومجلة المقتطف كانت من أوائل من دعا إلى العامية على يد يعقوب نقلا صرّوف/ لبناني الأصل منشؤها الأول.. ثمّ عمل الشّيخ محقّقا لغويًا في دار ومكتبة الهلال، وهي دار كان الشّيخ يقرّ أنّها مشبوهة، وأصحابها من خصوم هذه الأمّة وأولياء لأعدائها.

(23) أكثر ما يشدّك إلى الشّيخ محمود شاكر وكلامه هو وضوحه، وإصراره على تسمية الأشياء بأسمائها، فلا يقبل أعذار المجمجمين، وأمّا قدرته على التّصوير فهي الغاية التي لا تخطؤها العين.

يقوم به المزوّرون لتاريخنا، الدّاعون إلى تحطيم مقوّمات هويّتنا، فبدأ بنقض ما يقوله لويس عوض، وقام بكشف جهله وجهل جماعته بآداب هذه الأمّة، وصال فيهم بثقة اكتسبها من إدراكه العميق لهذه الثّقافة، ومن ثقته بهذا الدّين، وأرجع هجومهم على هذه الثّقافة إلى أصولها، وأنّها هجوم على دين الله تعالى، فربط بين لويس عوض وبين سلامة موسى وبين دوائر الإستشراق التي تربّي أمثالهما على عينها، ثمّ تخرجهم وقد تبوّؤا أعلى مراكز القرار، فعاثوا في الأمّة الفساد، وقوّضوا أبنيتها الشّامخة بالاعيبهم وأكاذيبهم، والشّيخ وإن اتّخذ لويس عوض نموذجا فإنّما أراد بمقالاته التي سمّاها ‹أباطيل وأسمار› أن يكشف عن جيل كامل حمل معاول الهدم والتّدمير، ورضي لنفسه أن يكون تابعا لدوائر التّبشير والإستشراق.

في مقالاته ‹أباطيل وأسمار› صنع الشّيخ شاكر ملحمة فكريّة رائعة أبان فيها عن قضيّة المنهج الذي أفسده هؤلاء فقال:-

ولفظ (المنهج) (24) كما سيأتي يحتاج منّي إلى بعض الإبانة، وإن كنت لا أريد به الآن ما اصطلح عليه المتكلّمون في مثل هذا الشّأن، بل أريد به (ما قبل المنهج) أي الأساس الذي لا يقوم المنهج إلاّ عليه، فهذا الذي سمّيته هنا (منهجا) ينقسم إلى شطرين: شطر في تناول المادّة، وشطر في معالجة التّطبيق (25).

وتعدّ كتب الشيخ نموذجا لتطبيق هذا المنهج بكل أمانة وقوّة..

والعظيم في الأمر أنّ الشّيخ جعل كلّ ذلك من أجل الدّين، وجعلها معركة له وتحت رايته..

قال الشّيخ واصفا حال هذه الفترة في عرضه لكتابه:- وقد بدأت أكتب هذه الكلمات بعد عزلة ارتضيتها لنفسي منذ سنين لأنّي خشيت أن لا أقوم بحقّ القلم عليّ وبحقّ النّاس عليه، فوجئت بأشياء كنت أراها هيّنة لا خطر لها، فاستبان لي بعد قليل من مذاكرة أصحابي أنّ الأمر أهول مما ظننت، فمن أجل ذلك فارقت عزلتي، وبدأت حريصا على أن لا أخون حقّ القلم عليّ، ولا حق الناس عليه (26).

ونعم، لم أكن غافلا عما يجري من حولي بل كنت مصروفا عن متابعة بعض الحوادث

---

(24) شرح الشّيخ شاكر موضوع المنهج بالتّفصيل في كتابه: ‹رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا›.

(25) أباطيل وأسمار ص24.

(26) كان الشيخ يقول في آخر أيامه:- إن الذي رأيته في شبابي أفضل مما أنا فيه الآن، لأن الأمور الثقافية في نزول لا في صعود.

والنوابت، وعن تعليقها بأسبابها، وعن اتباعها بنتائجها، إذ كنت امرءا ملولا، وهو مما قضى الله أن أكونه، يسرع إليَّ المَلَلُ فأطرح شيئا كثيرا أعلم عن أصحابه من السخف ما أعلم، فلا أقرأه ولا ألقى إليه بالاً. فمن ذلك ما كان يكتبه «أجاكس عوض»، الذي كان يُعرف، فيما غبَرَ، باسم «لويس عوض» (27).

كان من سوالف الأقضية أن كتب الله عليَّ يوما ما: أن أقرأ له شيئا سمّاه «بلوتولند، وقصائد أخرى» (28) وكتب تحته «من شعر الخاصة»، وأهداه إلى «كريستوفر سكيف»، وذلك في 1947 من الميلاد. ولما كنت أعلم خَبْءَ «سكيف» هذا، وأنه كان أستاذا في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وأنه كان جاسوسا محترفا في وزارة الإستعمار البريطانية، وأنه كان أيضا مبشرا ثقافيا شديد الصفاقة سيِّء الأدب، وأنه كان ماكرًا خبيثا خسيس الطباع، وأنه كان يفرق بين طلبة القسم الإنجليزي في الجامعة: يمدّ يدا إلى هذا، لأنه تابع له حاطب في هواه، وينفض يده من ذاك، لأنه يعتصم ببعض ما يعتصم به المخلصون لدينهم ووطنهم، حميّة وأنفة، واستنكافاً أن يضع في عنقه غُلا للسيادة البريطانية، وللثقافة التبشيرية المسيحية. وكنتُ أعلم فوق ذلك، أنه «شرلتان» عريض الدعوى، لا يستحق أن يكون أستاذاً في جامعة، ولكن سيادة بريطانيا كانت يومئذ هي الغالبة، وكانت كلمتها هي النافذة. فأصبح سرّ «أجاكس عوض» مفضوحا عندي، بإهدائه «بلوتولند، وقصائد أخرى» إلى هذا الجاسوس المحترف، والمبشّر الثقافي الصفيق، و"الشرلتان" الذي صار أستاذاً في الجامعة، «كريستوفر سكيف»!.

لم يمنعني ذلك من الإقدام على قراءة الكتاب، فإذا أوّله هذا العنوان: «حطموا عمود الشعر»! وتحته مباشرة هذا الكلام: «لقد مات الشعر العربي، مات عام 1933، مات بموت أحمد شوقي، مات ميتة الأبد، مات».. فتوقفت دهشة، ولم يخامرني شك في أن كاتب هذا داخل فيما يسميه الأطباء: «مانيا هلو سيناتوريا»، وهو الهذيان والوسوسة واختلاط

---

(27) سمّى الشيخ شاكر «لويس عوض» بلجاكس عوض، لأن لويس شبه نفسه في أحد مقالاته برمز يوناني تتداوله خرافات اليونان اسمه: أجاكس بن تلامون، اقرأها متمتّعا مع ردّ الشّيخ عليه في المقالة رقم عشرين من ‹أباطيل وأسمار›..

(28) هي أوّل ديوان من شعر النّثر!! أصدره «لويس عوض»، ومع تفاهته فما زال بعضهم يعدّه من أوائل (الإبداع) للفن الشعري الحديث.. انظر ما كتبه ناجي علوش في مقدمة ‹ديوان بدر شاكر السياب› المجلد الأول.

العقل. وقلت: «حالة لُطف»! ومضيت أقرأ هذه المقدمة مشتاقا، لكي أسرّي عن نفسي وكانت أيامنا يومئذ جالية للغم. وصدق ظني فضحكت ولم أبال بما وجدت فيه من بُغض شديد للعرب، ومن حقد أكل على دينهم وكتابهم (29)، ومن غرور فاجر وسوء أدب. ولم أعبأ بالرائحة الخبيثة التي تفوح من تحت ألفاظه، فقد كنت ألفتُ أن أجد نفرها حين ألقى جماعات المبشرين في ثيابهم المختلفة، حين يستَخْفون فيها وحين يستعلنون. وقنعت بما سرّى عنّي الهموم من هذيانه ووسوسته واختلاطه، وأنزلتُ أقواله وأحقاده حيث نزل، إذ كان يومئذ شيئا مغموراً لا يؤبَهُ له (30).

وقد كشف شاكر جهل عوض باللّغة العربيّة، وأنّه ومن هم على شاكلته لا يحسنون قراءة التّراث ولا يفهمون من ثقافة الأمّة شيئا، بل كشف سوء نواياهم وارتباطهم بالأجنبي، وقد اعترف أنّه لا يكشف لويس عوض بمقدار أن يكشف هجمة عاتية على هذه الأمّة ، لتبصر الأمّة حقيقة ما يراد بها من هؤلاء الكتبة.. اقرأ ما يقوله عن لويس عوض:

إن تكن هذه عجيبة، فلويس عوض أعجب منها! فقد ملاه ماله منذ دهر ثمّ تركه، وضبطه له إلى أهدافه بعينها ثمّ أطلقه، فانطلق يجوس خلال الآداب عامّة، ثمّ الآداب العربيّة خاصّة، وهو لا يكاد يرى إلاّ ما ركب لأجله: لا يكاد يرى إلاّ اليونان والرّوم، والقرون الوسطى، والمثقّفين والحضارة الحديثة، والحروب الصّليبيّة، والصّلبان والخلاص، والفداء، والخطيئة، وكسر رقبة البلاغة، وكسر عمود الشعر العربي، واللغة العامية، والفتح الإنجليزي لمصر سنة 1882 (31)، وما شئت من أمثال ذلك مما ضمّنه كتبه ومقالاته قديما وحديثًا.

فهذا التركيب الموجَّهُ (!!) لا يكادُ يرى ابن خلدون إلا مقرونا بأورسيوس ولا المعرّي إلا مقرونا براهب دير الفاروس وبالحروب الصليبية والصلبان التي غصّت بها حلب (!!) ولا «وردة الدهان» وهي آيات العذاب يوم القيامة، إلا مقرونة بروزا مستيكا (مريم العذراء)، ومعاذ الله، وبرّأها مما في عقله من السمادير ولا يكاد يرى عمر مكرم وعرابي وجمال عبد الناصر إلا مقرونين بالمعلم يعقوب رئيس الخونة المظاهرين للفرنسيس الغزاة أيام نابليون

---

(29) لقد كشف لويس عوض هذا واضحا عندما ترجم لنفسه ولأيامه..

(30) أباطيل وأسمار ص8-9.

(31) سمى لويس عوض الاستعمار الانجليزي لمصر فتحا، كما سمى دخول الصحابة رضي الله عنهم لمصر فتحا!!

ولا توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وصلاح عبد الصبور، إلا مقرونين بعقائد الخلاص والفداء والخطيئة. ثم تأتي الطامة الكبرى، فلا يكاد يرى القرآن العظيم إلا مقرونا بترجمته إلى اللغة العامية، كما ترجم الإنجيل إلى اللغات الحديثة وهي عامية اللاتينية، وإلا مقرونا بكسر رقبة البلاغة، وكسر عمود الشعر العربي وهنا وهناك تراه طائشا، زائغ العينين خفيف العقل سليط اللسان، قد استرخت مفاصل عقله، وانحلّت تلافيفه. هذا، والذي أطلقه واقف من بعيد ينظر، وفي عينيه الدهشة ويحك ذقنه بيده، ويفتر ثغره عن ابتسام، إعجابا باختراعه المدهش الذي ركّبه وأطلقه، ولم يكن يظن ظنا أنه قادر على أن يتحرك في عمود واحد من إحدى الصحف السرية!! فإذا به (يبرطع) في ثمانية أعمدة، في أكبر صحيفة في العالم العربي والإسلامي، هي الأهرام، وعلى أشرف منصّة في معهد الدراسات العليا التابع للجامعة العربية ويأتي في خلال "برطعته" (وهي البلتعة بالفصحى) بالعجائب التي لا تنقضي، وقد ارتدى طيلسان أستاذ جامعي، بلا حسيب ولا رقيب. وهذا نجاح مدهش ولا شك وحق لمالئه أن يميد به الغرور وتستخفه الخُيلاء باختراعه هذا العجيب! فهذه هي الفضيحة التي لا تنكر للاختراع المسّجل (لويس عوض) (32)!.

ثمّ كشف الشّيخ شاكر في كتابه أصل المسألة الخبيثة وهي الدّعوة إلى العامّيّة، وأرجعها إلى أصولها التي خرجت منها – دوائر التّبشير والإستشراق (33) –، وكشف عن اهتمام هؤلاء القوم بالصّحافة لأهمّيهتها.. ونقل عن المبشر – رولس كاش –قوله:– إنّ الصّحافة لا توجّه الرّأي العام فقط، أو تهيّئه لقبول ما ينشر عليه، بل هي تخلق الرّأي العام.. (يقول الشّيخ:– فتأمّل هذه العبارة تأمّلا جيدًا).

وقد استغلّ المبشرون الصّحافة المصريّة على الأخصّ للتّعبير عن الآراء المسيحيّة أكثر ممّا استطاعوا في أيّ بلد إسلاميّ آخر.. (يقول الشّيخ: تأمّل هذا أيضا).

لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصّحف المصريّة، إمّا مأجورة في أكثر الأحيان، أو بلا أجرة في أحوال نادرة..

وكشف الشّيخ أمر التّعليم وما صار إليه بذكر أقوال دهاقنة الكفر مثل قول «زويمر»:– ينبغي للمبشّرين أن لا يغيظوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة، إذ من المحقّق

(32) اباطيل وأسمار ص110–111.

(33) انظر ارتباط الدعوة إلى العامية بنصارى الشرق وكيف هي استجابة لدوائر الكفر الغربية، في –التبشير والاستعمار– للخالدي وفروخ و«الفصحى لغة القرآن» لأنور الجندي.

أنّ المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشّديد إلى علوم الأوروبيين وتحرير النّساء (34)..

ومثل قول المبشّر «تكلي»:- يجب أن نشجّع إنشاء المدارس وأن نشجع على الأخصّ التّعليم الغربي، إنّ كثيرين من المسلمين قد زُعزع إعتقادهم حينما تعلّموا اللّغة الإنجليزيّة، إنّ الكتب المدرسيّة الغربيّة تجعل الإعتقاد بكتاب شرقي مقدّس أمرا صعبا جدّاً..

يعلّق الشّيخ قائلا: وهذا واضح كلّ الوضوح، في أنّ أمر التّعليم على الصّورة التي أرادوها والتي أرادها «دنلوب» وأمثاله، هي نزع اعتقاد الشّباب المسلم في كتاب الله الذي أنزله على نبيّه صلّى الله عليه وسلم، والذي عبّر عنه «وليم جيفرد بلجراف» بقوله:- متى توارى القرآن، ومدينة مكّة من بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربيّ يتدرّج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلاّ محمّد وكتابه.. (وخسئ المبشّر التّالف).

ثمّ كشف الشّيخ شاكر كيف استأجر هؤلاء المبشّرون جماعة من الكتبة الذين يتسمّون بأسماء إسلاميّة لتمرير أفكارهم ومناهجهم.. ومن هؤلاء: الدكتور محمّد أحمد خلف الله(35)..

وبيّن الشّيخ أنّ النّصارى القبط هم من أعان المستعمرين على تمرير مخطّطاتهم في هذه الأمّة، وردّ في كتابه على من سمّى تطبيق الحدود وحشيّة، وذلك في مقالته رقم (18) من الكتاب..

ومن فصول الكتاب الرّائعة شرح الشّيخ لكلمة «دين» ، وذلك في المقالة رقم (24) وكشف فيها عن خطأ النّاس في فهمهم لهذه الكلمة..

ومن مقالات الكتاب القيّمة هو ما كشف فيها الشّيخ عن جهل هؤلاء الكتبة بلغة أساتذتهم وأئمّتهم أعني الغرب، فإنّه في المقالة رقم (25) بيّن جهل لويس عوض في ترجمته لمسرحيّة أرسطوفان، والتّي عنوانها «الضّفادع» (36).. وهي المقالة الأخيرة في

---

(34) نصوص المبشرين تستطيع الإطلاع عليها في كتاب ‹الغارة على العالم الاسلامي› الذي نشره الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى.

(35) رجل سار على منهج طه حسين في التشكيك في القرآن وهو علماني النزعة كان مع فرج فودة في مناظرة المشهودة والتي دعا فيها إلى تبني العلمانية كاملة من غير نقص.

(36) وينطق كذلك أرسطوفانس (445-385ق م) مؤلف إغريقي، كتب ما يزيد على أربعين مسرحية، لم يصل منها إلا 11 مسرحية، والمعلومات حول حياته قليلة. أول مسرحياته هي (أصحاب المأدبة) شاهد محاكمة سقراط ثم إعدامه، ومسرحية (الضفادع) كتبها بعد الحادثة، وهي مسرحية من نوع (الكوميديا) تحكي عن موت (الدراما) الأثينية، وكيف عاد يوريبيدس ليعيد للمسرح إعتباره.

الكتاب

وتوقفت مقالاته، فإنّه بعدها وفي أغسطس (أب) سنة 1965: (أحاطت بي الأسوار وأظلمت الدّنيا، وسمعت ورأيت وفزعت وتقزّزت... وكان ما كان:-

وعلمت، حتى ما أسائل واحداً عن علم واحدة لكي أزدادها

وتسلّيت عن كلّ ما ألقى بقول شيخ المعرّة:-

يسوسون النّاس بغير عقل فينفذ أمرهم ويقال ساسة

فأفّ من الحياة وأفّ منّي ومن زمن رئاسته خساسة)

ذلك أنّ الشّيخ سيق إلى السّجن مرّة ثانية، فقد تكالب الخصوم عليه، وراحوا يتّهمونه أنّه يدعو إلى فتنة طائفيّة دينيّة (ونعمة التهمة)، فاستجابت السّلطة لهم وتمّ سجنه وبقي في السجن سنتين وشيئا حتّى كانت جريمة حزيران عام 1967م.

وقد شهد له إخوانه أنه كان في السجن مثالا للصبر على كبر سنّه ومرضه، وكان كذلك سمح الروح واسع الصدر، وقد طلب من أن يعتذر كما كتب ليفرج عنه، فرفض أشدّ الرفض.

الوحدة الموضوعيّة للقصيدة في الشّعر الجاهلي: ....

وبعد خروج الشّيخ من السّجن عاد مرّة ثانية إلى دراسة الشّعر الجاهلي، فكتب مجموعة من المقالات تحت عنوان:- «نمط صعب ونمط مخيف» وذلك على صفحات مجلّة «المجلّة» في الفترة (1969- 1970)، وفي هذه المقالات قام الشّيخ شاكر بدراسة قصيدة ابن أخت تأبّط شراً التي مطلعها:

إنّ بالشّعب الذي دون سَلْع لقتيلا دمه ما يُطَلُّ

قذف العبء عليّ وولّى، فأنا بالعبء له مستقلُّ

ووراء الثّأر منّي ابن أخت، مَصِعٌ عقدته ما تُحلُّ

مطرق يرشح مــوتا، كــمــا أطرق أفــعى، ينفث السّمّ صلُّ

خــبــر مــا نابنا مــصــمــئلٌ جلّ حــتّى دقّ فــيــه الأجلُّ

وسبب دراسته لهذه القصيدة أن (يحيى حقّي) أشاد بترجمة (جوته) لهذه القصيدة وزعم حقي أنّ القصيدة الجاهلية تفتقر للوحدة الموضوعيّة..

قام الشّيخ بالكشف عن قائلها لاختلاف الرّواة في تعيينه، ونفى أن تكون لتأبّط شراً أو الشّنفرى، وجزم أنّها لابن أخت تأبّط شراً، وحقّق القول في زمن إنشادها وأنّ ابن أخت تأبّط شراً أنشدها بعد أن ثأر لخاله من هذيل، ثمّ رتّب الشّيخ القصيدة ترتيبا جديدا، وهي مواصلة له لتأكيد صحة نسبة الشّعر الجاهلي، وهي المسألة التي بقيت هاجسه إلى آخر أيّامه، فإنّه اعتبرها قضيّته التي أحسّ بها وهو طالب عند الشّيخ المرصفي، ثمّ عاني منها ما عانى بعد أن تفجّرت هذه القضيّة على يد طه حسين.

وكان الشّيخ شاكر رحمه الله تعالى يعتبر أنّ القضيّة الأولى لإعادة الإعتبار للقصيدة الجاهليّة وفهمها بكونها تحمل وحدة موضوعيّة واحدة، هو ترتيب القصيدة، فقد ذكر الدّكتور ناصر الدّين الأسد أنّ الشيخ شاكر كان في تدريسه للطّلاّب – الأصمعيّات – يبذل جهدا كبيرا في إعادة ترتيب القصيدة بعد تجميعها من مظانّها ليفهم النّاظر وحدة الموضوع فيها.

وفي سنة 1970م أسهم الشّيخ شاكر في نشر الوحشيّات – وهو الحماسة الصّغرى لأبي تمّام الطّائي، وفي عام 1974 أعاد نشر كتاب ابن سلام «طبقات فحول الشّعراء»، ثمّ أعاد نشر كتابه «المتنبّي» سنة 1976 مع مقدّمة جديدة، تحدّث فيها عن الكتاب وقصّته، وتحدّث فيها عن فساد الحياة الأدبيّة، وعرض صور السّرقة التي يقتات عليها بعض المؤلّفين، وكشف فيها عن منهجه في تذوّق الشّعر تذوّقا علميّا للوصول إلى ما يريده الباحث، سواء كان المراد من فهم مكنونات الشّاعر النّفسيّة أو معرفة البيئة المحيطة به.

وفي سنة 1975 ألقى الشّيخ محمود شاكر سلسلة من المحاضرات حول الشّعر الجاهلي في جامعة محمّد بن سعود بالرّياض.

وفي سنة 1982 بدأ الشّيخ بنشر كتاب «تهذيب الآثار» للإمام أبي جعفر الطّبري.

وفي سنة 1984 نشر شاكر «دلائل الإعجاز» وضمّ إليه «الرّسالة الشّافية في الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني.

رسالة الشيخ شاكر إلى أمة الإسلام.. وكتابه ‹رسالة في الطريق إلى ثقافتنا› :

في سنة 1987 كتب الشّيخ شاكر كتابه ‹رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا›، وهذا الكتاب على صغره غنيّ بالفوائد والمعلومات، وجعلها في طبعة ‹المتنبي› الجديدة مقدّمة لكتابه، شرح فيها باسطا مسألة تذوّق الشّعر ومنهجه فيه، وبيّن فيه مزيّة (الكتب المبتدأة الموضوعة في العلوم المستخرجة، فإنّا نجد أربابها قد سبقوا في فصول منها إلى ضرب من النّظم والمعرفة، أعيا من بعدهم أن يطلبوا مثله، أو يجيئوا بشبيه له، فجعلوا لا يزيدون على أن يحفظوا تلك الفصول على وجوهها) (37). فقد أراد أن يبيّن عظمة الأوائل وقيمتهم في أبواب العلم، وفي ذلك ردّ على من زعم أنّ أساليب النّقد وعلومه، ومناهج التّذوّق لا بصر للأوائل بها، وهذا الذي دعا الدّكتور محمّد محمّد أبا موسى أن يكتب كتابه القيّم ‹الإعجاز البلاغي- دراسة تحليليّة لتراث أهل العلم› ويقول:- إنّهم لم يتكلّموا في الإعجاز لأنّ برهانه كان قائما في نفوسهم ومضى الأمر على ذلك حتّى تبدّلت أحوال العرب، ولانت جلودهم (38)، ونجم في مجتمع المسلمين أهل التّشكيك وجاهروا بالزّيغ، وكثر القول في القرآن وإعجازه، واندسّت مقالة أهل الضّلالة (39)

وأشار الدّكتور محمّد محمّد أبو موسى إلى أنّ الكثير من أهل التّحقيق يوهمون النّاشئة أنّ كلام شاكر -(في اعتبار أن مناهج التّذوّق والنّقد لآداب العربيّة خاصّة لهذه البيئة ولا عبرة بما يقوله الأجانب في هذا الباب)- في هذا الباب يمثّل موقفه المتشدّد(40). وعلى القارئ الرّجوع إلى شرح الشّيخ شاكر لكلمة سيبويه في أوّل الكتاب:- وأمّا الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، وما يكون ولم يقع، وما هو كائن لا ينقطع.. وشرحه كذلك لكلام الجرجاني في أنّ ما قاله سيبويه لم يمكن لأحد بعده أن يلحق شأوه، أو أن يتقدّم عليه.

---

(37) من كتاب عبد القاهر الجرجاني ‹الرّسالة الشّافية›.

(38) قال البصريون يفتخرون على الكوفيين بأصالة علومهم:- نحن نأخذ باللغة عن حرشة الضّباب، وأكلة اليرابيع، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواريز وباعة الكوامخ.

(39) ‹الإعجاز البلاغي› ص20.

(40) السّابق ص8.

(المنهج) عند الشّيخ شاكر: ....

شرح الشيخ في الرّسالة بعض ما يعنيه بالمنهج قائلا:-

كان منهجي، كما نشأ واستتبّ في نفسي، كان منهجا يحمل بطبيعة نشأته رفضا صريحا واضحا قاطعا غير متلجلج، لأكثر المناهج الأدبيّة التي كانت فاشية وغالبة وصار لها السّيادة على ساحة الأدب الخالص إلى يومنا هذا، كما حدّثتك آنفا.

فلكي تكون على بيّنة مرّة أخرى...

فاعلم، قبل كلّ شيء، أنّ تسميتها «مناهج»، تجاوزٌ شديد البعد عن الحقيقة، وفساد غليظ وخلط، إذا كنت تريد أن تكون على ثقة من معنى هذه الألفاظ التي تجري الآن بيننا، ولكن قد كان ما كان، فهكذا اصطلحوا على تسميتها!

وقديما تناولت لفظ «المنهج»، وحاولت البيان عنه فقلت:

«ولفظ المنهج»، يحتاج منّي هنا إلى بعض الإبانة، وإن كنت لا أريد به الآن ما اصطلح عليه المتكلّمون في مثل هذا الشّأن، بل أريد به «ما قبل المنهج»، أي الأساس الذي لا يقوم «المنهج» إلاّ عليه.

«فهذا الذي يسمّى «منهجا» ينقسم إلى شطرين: شطر في تناول المادة، وشطر في معالجة التّطبيق.

«فشطر المادة يتطلّب قبل كلّ شيء» جمعها من مظانّها على وجه الإستيعاب المتيسّر، ثمّ تصنيف هذا المجموع، ثمّ تمحيص مفرداته تمحيصا دقيقا، وذلك بتحليل أجزائها بدقّة متناهية، وبمهارة وحذق وحذر، حتى يتيسّر للدّارس أن يرى ما هو زيف جليّا واضحا، وما هو صحيح مستبينا ظاهرا، بلا غفلة، وبلا هوى، وبلا تسرّع».

«أمّا شطر التّطبيق، فيقتضي ترتيب المادة بعد نفي زيفها وتمحيص جيّدها، باستيعاب أيضا لكلّ احتمال للخطأ أو الهوى أو التّسرّع. ثمّ على الدّارس أن يتحرّى لكلّ حقيقة من الحقائق موضعا هو حقّ موضعها، لأنّ أخفى إساءة في وضع إحدى الحقائق في غير موضعها، خليق أن يشوّه عمود الصّورة تشويها بالغ القبح والشّناعة».

وأزيدك الآن: أنّ «شطر التّطبيق» هو الميدان الفسيح الذي تصطرع فيه العقول،

وتتناصى الحجج، (أي تأخذ الحجّة بناصية الحجّة كفعل المتصارعين)، والذي تسمع فيه صليل الألسنة جهرة أو خفية، وفي حومته تتصادم الأفكار بالرّفق مرّة وبالعنف أخرى، وتختلف فيه الأنظار اختلافا ساطعا تارة، وخابيا تارة أخرى، وتفترق فيه الدّروب والطّرق أو تتشابك أو تلتقي. هذه طبيعة هذا الميدان، وطبيعة النّازلية من العلماء والأدباء والمفكّرين. وعندئذ يمكن أن ينشأ ما يسمّى «المناهج» و«المذاهب» (41) .

وبيّن أصالة المنهج وأنّه ليس بالأمر المبتدع قائلا:-

تبيّن لي يومئذ تبيُّنا واضحا أنّ شطري المنهج: «المادة والتطبيق»، كما وصفتهما لك في أوّل هذه الفقرة، مكتملتان اكتمالا مذهلا يحيّر العقل، منذ أوّليّة هذه الأمّة العربيّة المسلمة صاحبة اللّسان العربي، ثم يزدادان اتّساعا واكتمالا وتنوّعا على مرّ السّنين وتعاقب العلماء والكتّاب في كلّ علم وفنّ، وأقول لك غير متردّد أنّ الذي كان عندهم من ذلك ، لم يكن قطّ عند أمّة سابقة من الأمم، حتى اليونان = وأكاد أقول لك غير متردّد أيضا أنّهم بلغوا في ذلك مبلغا لم تدرك ذروته الثقافة الأوربيّة الحاضرة اليوم، وهي في قمّة مجدها وازدهارها وسطوتها على العلم والمعرفة.

كنت أستشفّ «شطري المنهج»، كما وصفتهما، تلوح بوادره الأول منذ عهد علماء صحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ومن حُفِظَت عنهم الفتوى كعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر = كانت كاللّمحة الخاطفة والإشارة الدّالّة. ثمّ زادت وضوحا عند علماء التّابعين كالحسن البصري، وسعيد بن المسيّب، وابن شهاب الزهري، والشعبي، وقتادة السّدوسيّ، وإبراهيم النّخعي. ثمّ اتّسع الأمر واستعلنَ عند جِلّة الفقهاء والمحدّثين من بعدهم، كمالك بن أنس، وأبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمّد بن الحسن الشيبانيّ، والشافعي، واللّيث بن سعد، وسفيان الثّوري، والأوزاعي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، والبخاري، ومسلم، وأبي عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، وأبي جعفر الطّبري، وأبي جعفر الطّحاوي. ثمّ استقرّ تدوين الكتب فصار نهجا مستقيما، وكالشّمس المشرقة، نورا مستفيضا عند الكاتبين

---

(41) ص 21 و 22.

جميعا، منذ سيبويه، والفرّاء، وابن سلاّم الجمحي، والجاحظ، وأبي العباس المبرّد، وابن قتيبة، وأبي الحسن الأشعري، والقاضي عبد الجبّار المعتزلي، والآمدي، وعبد القاهر الجرجاني، وابن حزم، وابن عبد البرّ، وابن رشد الفقيه وحفيده ابن رشد الفقيه الفيلسوف، وابن سينا، والبيروني، وابن تيمية وتلميذه ابن قيّم الجوزيّة، وآلاف مؤلّفة لا تحصى حتى تنتهي إلى السّيوطي، والشّوكاني، والزّبيدي، وعبد القادر البغدادي في القرن الحادي عشر الهجريّ.

سنّة متّبعة ودرب مطروق في ثقافة متكاملة متماسكة راسخة الجذور، ظلّت تنمو وتتّسع وتستولي على كلّ معرفة متاحة أو مستخرجة بسلطان لسانها العربي، لم تفقد قطّ سيطرتها على النّهج المستبين، مع اختلاف العقول والأفكار والمناهج والمذاهب، حتى اكتملت اكتمالا مذهلا في كلّ علم وفنّ، وكان المرجو والمعقول أن يستمرّ نموّها واكتمالها وازدهارها في حياتنا الأدبيّة العربيّة الحديثة راهنا، (ثابتا)، إلى هذا اليوم، لولا.... ولكن صرنا، واحسرتاه، إلى أن نقول مع العرجيّ الشّاعر: «كان شيئا كان، ثمّ انقضى» (42).

ارتباط الثّقافة بالدّين: ....

وربط بين الثّقافة والدّين ربطا وثيقا، حيث اعتبر ثقافة كلّ أمّة متّصلة بدينها، وأنّ تخلّي الأمّة عن ثقافتها هو جزء من التّخلّي عن دينها، ولذلك فليس هناك ثمّة أمّة تغلب أخرى إلاّ وتنشط إلى تسويق ثقافتها عند الأمّة المغلوبة، وهذا ما يحاول جمع من المثقّفين المصبوغين بالآخر أن يغالطوه، حيث يزعمون وجود ثقافة عالميّة، لا تختصّ بأمّة ولا دين من الأديان.

---

(42) ص 24 و 25، وفي الهامش كتب الشيخ في تعريف كلمة العرجي الشاعر:- من بيتين تترقرق فيهما عبرات الأسى كله، وحسرات العمر كله، يقول:-

يا ليت شعري، هل يعودنّ لي ... ذا الودّ من ليلى كما قد مضى؟

إذ قلبها فارغ كلّه ... أم كان شيئا كان، ثمّ انقضى

جذور الفساد الأدبي: ....

ثمّ صار الشّيخ إلى جذور الفساد الأدبي في حياة أمّتنا اليوم، وهو فصل مهمّ جدير بالعناية والإطّلاع ودراسته دراسة واعية مستوعبة، حيث ربط الشّيخ بين الحروب الصّليبيّة ونشاط الرّهبان، واستطرد في بيان المعركة بين الأمّتين المسلمة والنصرانيّة، حتّى ربط بين الحروب القديمة وحركة الإستشراق والتي أقبلت مع هجمة الإستعمار، وأعاد التّنبيه إلى كتابه ‹أباطيل وأسمار› حيث جعله فاضحا لهذه السّموم التي قبعت في داخل أمّتنا تعمل فيها فتكا وتدميرا، يقول الشّيخ رحمه الله تعالى واصفا تلك الهجمات:-

ومع هذه الأساطيل الفاجرة، خرجت من مكامنها أعداد وافرة من رجال يجيدون اللّسان العربي وألسنة دار الإسلام الأخر، ومنهم رهبان وغير رهبان، وركبوا البرّ والبحر، وزحفوا زرافات ووحدانا في قلب دار الإسلام: على ديار الخلافة في تركية، وعلى الشّام، وعلى مصر، وعلى جوف إفريقية وممالكها المسلمة = خرجوا وفي القلوب حميّة الحقد المكتّم، وفي النّفوس العزيمة المصمّمة، وفي العيون اليقظة، وفي العقول التّنبّه والذكاء، وعلى الوجوه البشر والطّلاقة والبراءة، وفي الألسنة الحلاوة والخلابة والمُمانقة، ولبسوا لجمهرة المسلمين كلّ زيٍّ: زيّ السّائح، وزيّ الصّديق النّاصح، وزيّ العابد المسلم المتبتّل = وتوغّلوا يستخرجون كلّ مخبوء كان عنهم من أحوال دار الإسلام، أحوال عامّته وخاصّته، وعلمائه وجهّاله. وحلمائه وسفهائه، وملوكه وسوقته، وجيوشه ورعيته، وعبادته ولهوه، وقوّته وضعفه، وذكائه وغفلته، حتّى تدسّسوا إلى أخبار النّساء في خدورهنّ، فلم يتركوا شيئا إلاّ خَبَروه وعجموه، وفتّشوه وسبروه، وذاقوه واستشفّوه. ومن هؤلاء، ومن خبرتهم وتجربتهم، خرجت أهمّ طبقة تمخّضت عنها اليقظة الأروبيّة «طبقة المستشرقين» الكبار، وعلى علمهم وخبرتهم وتجاربهم، رست دعائم «الإستعمار»، ورسخت قواعد «التّبشير»(43)..

---

(43) ص53 من الرسالة.

الإستشراق: ....

ثمّ كشف عن طريقة الإستشراق في دراسة أمّتنا، ودراسة ثقافتها ودينها وذلك عن طريق الإهتمام بالمخطوطات التي سارع المستشرقون إلي اقتنائها عن طريق الشّراء أو النّهب، ثمّ عن طريق الرّحلات الإستكشافيّة التي جابت الأماكن بلا كلّ ولا ملل، ووصلوا إلى المجاهيل وأعماق الصّحراء والقرى البعيدة النّائية، وذلك كلّه من أجل الإحاطة بهذه الأمّة والإطّلاع على كلّ شيء فيها ليسهل التّعامل معها وإدراك مكامن قوّتها حتّى وصلوا إلى خبرة (بكلّ ما في دار الإسلام قديما، وما هو كائن فيها حديثا) (44).

وكان من تنبيهاته المهمّة أنّ ما كتبه المستشرقون لا يمكن أن يكون قاعدة لأهل هذا الدّين ولا لقوم هذه الأمّة لأنّ كتب (الإستشراق) ومقالاته ودراساته كلّها مكتوبه أصلا للمثقّف الأروبّي وحده لا لغيره، وأنّها كتبت له لهدف معيّن، في زمان معيّن، وبأسلوب معيّن، لا يراد به الوصول إلى الحقيقة المجرّدة، بل الوصول الموفّق إلى حماية عقل هذا الأروبّي المثقّف من أن يتحرّك في جهة مخالفة للجهة التي يستقبلها زحف المسيحيّة الشّماليّة على دار الإسلام في الجنوب (45).

ثمّ قام الشّيخ رحمه الله ببيان أنّه لا يمكن للمستشرق أن يستوعب ثقافة هذه الأمّة، ولا أن يقوم بتحليلها كما هي في نفسها.. يقول:- غاية ما يمكن أن يحوزه (مستشرق) في عشرين أو ثلاثين سنة، وهو مقيم بين أهل لسانه الذي يقرع سمعه باللّيل والنّهار، أن يكون عارفا معرفة ما بهذه (اللّغة) (46) وأحسن أحواله عندئذ أن يكون في منزله طالب عربي في الرّابعة عشرة من عمره، بل هو أقلّ منه على الأرجح.. (47).

أمّا إمكانيّة إحاطة المستشرق لأمر الثّقافة فهذا أمر عسير جدّا، وهو أبعد من قضيّة إحاطته للّغة.. يقول الشّيخ رحمه الله تعالى:-

---

(44) ص57 من الرّسالة

(45) ص61 من الرّسالة.

(46) يقول هردر(1742 - 1803) :- إن لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقليد، والتاريخ والفلسفة والدين.. وفيها ينبض قلب الشعب، ويتحرك كل روحه..

(47) ص67 من الرّسالة.

وإذا كان أمر «اللّغة» شديدا لا يسمح بدخول «المستشرق» تحت هذا الشّرط اللاّزم للقلّة التي تنزل ميدان «المنهج» و «ما قبل المنهج»، فإنّ شرط «الثّقافة» أشدّ وأعتي، لأنّ «الثقافة»، كما قلت آنفا: «سرٌّ من الأسرار الملثّمة في كلّ أمّة من الأمم وفي كلّ جيل من البشر، وهي في أصلها الرّاسخ البعيد الغور، معارف كثيرة لا تحصى، متنوّعة أبلغ التّنوّع لا يكاد يحاط بها، مطلوبة في كلّ مجتمع إنسانيّ، للإيمان بها أوّلا من طريق العقل والقلب = ثمّ للعمل بها حتى تنوب في بنيان الإنسان وتجري منه مجرى الدّم لا يكاد يحسّ به = ثمّ الإنتماء إليها بعقله وقلبه انتماءً يحفظه ويحفظها من التّفكّك والإنهيار»، ... وهذه القيود الثلاثة، «الإيمان» و «العمل» و «الإنتماء» (48)، هي أعمدة «الثقافة» وأركانها التي لا يكون لها وجود ظاهر محقّق إلاّ بها، وإلاّ انتقض بنيان «الثّقافة»، وصارت مجرّد معلومات ومعارف وأقوال مطروحة في الطّريق، متفككة لا يجمع بينها جامع، ولا يقوم لها تماسك ولا ترابط ولا تشابكٌ.

وبديهي، بل هو فوق البديهي، أنّ شرط «الثّقافة» بقيوده الثّلاثة، ممتنع على «المستشرق» كلّ الإمتناع، بل هو أَدْخَلُ في باب الإستحالة من اجتماع الماء والنّار في إناء واحد، كما يقول أبو الحسن التّهامي الشّاعر:

ومكلِّفُ الأيّام ضدّ طباعها ... متطلّبٌ في الماء جذوةَ نارِ

وذلك أنّ «الثّقافة» و «اللّغة» متداخلتان تداخلا لا انفكاك له، ويترادفان ويتلاقحان بأسلوب خفيّ غامض كثير المداخل والمخارج والمسارب، ويمتزجان امتزاجا واحدا غير قابل للفصل، في كلّ جيل من البشر وفي كلّ أمّة من الأمم. ويبدأ هذا التّداخل والتّرافد والتّلاقح والتّمازج منذ ساعة يولد الوليد صارخا يتلمّس ثدي أمّه تلمّسا، ويسمع رجع صوتها وهي تهدهده وتناغيه، ثمّ يظلّ يرتضع لِبان «اللّغة» الأوّل، ولِبان «الثّقافة» الأوّل،

(48) بدأ بعض المفكرين يدركون إنهيار الإرادة (العمل) عند أقرانهم والدارسين، ودعوا إلى تجديد الإرادة والاهتمام بها.. انظر كتاب د. فهمي جدعان والذي عنوانه «الطريق إلى المستقبل» فصل «نقد الفعل» وما نبّه عليه الشّيخ من ارتباط الثقافة بالعمل، هو ما يحاول الكثير الإزورار عنه والتنكّر له..

شيئا فشيئا، عن أمّه وأبيه حتى يعقل، فإذا عقل تولاّه معهما المعلّمون والمؤدّبون حتى يستحصد، (أي يشتدّ عوده)، فإذا استحصد وصار مطيقا إطاقة ما للبصر بمواضع الصّواب والخطأ، قادرا قدرة ما على فحص الأدلّة واستنباطها فناظر وباحث وجادل، فعندئذ يكون قد وضع قدمه على أوّل الطّريق = لا طريق «المنهج» و «ما قبل المنهج»، فهذا بعيد جدًا كما رأيت = بل على الطريق المفضي إلى أن تكون له «ثقافة» يؤمن بها عن طريق العقل والقلب = ويعمل بها حتى تذوب في بنيانه وتجري منه مجرى الدّم لا يحسه به = وينتمي إليها بعقله وقلبه وخياله انتماءً يحفظه ويحفظها من التّفكّك والإنهيار (49).

مفهوم الثّقافة: ....

ثمّ بيّن الشّيخ ما يكتنف لفظ الثّقافة من تزوير وغموض، وبدأ يعرّف قارئه ما يقصد بلفظ الثّقافة وأنّها تقوم على شيئين:

أولهما:– أصول ثابتة مكتسبة تنغرس في نفس الإنسان منذ مولده حتّى يشارف حدّ الإدراك، وهو ما يتلقّاه من أبويه وأهله وعشيرته، وسمّى هذا الطّور بأساس التّسخير..

وثانيهما:– فروع منبثقة عن الطّور الأوّل، وهو طور النّظر والمباحثة وممارسته التّفكير والتّنقيب والفحص، فعندئذ تتكوّن النّواة الجديدة.. (ويبدأ العقل عمله المستتبّ في الإستقلال بنفسه، ويستبدّ بتقليب النّظر والمباحثة وممارسة التّفكير والتّنقيب والفحص وهذه تسمّى «ثقافة».).

نفي خديعة الثّقافة العالميّة: ....

ثمّ يشرع في بيان ارتباط الثّقافة واللّغة بالدّين، وينفي وجود ثقافة (عالميّة)، أي ثقافة

---

(49) ص 69 – 70 من الرسالة.

واحدة يشترك فيها البشر جميعا، ويقول إنّ هذا (تدليس كبير، وإنّما يراد بشيوع هذه المقولة بين النّاس والأمم، هدف آخر يتعلّق بفرض سيطرة أمّة غالبة على أمّة مغلوبة لتبقى تبعا لها... فالثّقافات المتباينة تتحاور وتتناظر وتتناقش، ولكن لا تتداخل تداخلا يفضي إلى الإمتزاج البتّة، ولا يأخذ بعضها على بعض شيئا، إلاّ بعد عرضه على أسلوبها في التّفكير والنّظر والإستدلال) (50).. ويفضي بعد هذا إلى وجوب استبعاد عمل المستشرقين وإقصائه في دراستهم لأمّتنا وتاريخها وثقافتها.

روّاد النّهضة كما يراهم شاكر:...

والشّيخ شاكر يرى أنّ الأمّة كان بإمكانها أن (تنهض) وأن تدخل طورا تجديديّا في تاريخها المعاصر، ولكن كان ما كان... ويعلّق أنّ النّهضة كان يمكن لها أن تكون على يد خمسة رجال هم:-

1- عبد القادر بن عمر البغدادي (1682م) صاحب «خزانة الأدب» في مصر، وهو الذي يعتبره الشّيخ شاكر الرّائد في تبنّيه إعادة قدرة الأمّة على التّذوّق، تذوّق اللّغة والشّعر والآداب وعلوم اللّغة.

2- الجبرتي الكبير حسن بن إبراهيم (والد صاحب التّاريخ) (1774م) في مصر، ويعتبره الشّيخ شاكر رائدا في تنبيه الأمّة إلى الصّناعات الحضاريّة وعلوم الكيمياء والفلك.

3- محمّد بن عبد الوهاب (1792م) في جزيرة العرب، ويعتبره الشّيخ شاكر رائدا في تحقيق النّهضة الدّينيّة، وردّ البدع والعقائد الفاسدة.

4- محمّد عبد الرّزّاق المرتضى الزّبيدي صاحب «تاج العروس» (1790م) في الهند

---

(50) ص75 من الرّسالة.

وفي مصر، فهو رائد بعث التّراث اللّغوي الدّيني.

5- محمّد بن علي الشّوكاني (1834م) في اليمن، ويعدّه الشّيخ شاكر إماما في إحياء عقيدة السّلف ونبذ التّقليد والدّعوة إلى الوحدة وتجريم التّعصّب.

ثمّ بيّن الشّيخ شاكر أسباب عدم حصول النّهضة، ويربط بين الإخفاق الحاصل وبين جهود المستشرقين في إيجاد الصّراعات تحت عناوين:- (الأصالة والمعاصرة) و(القديم والجديد) و(الثّقافة العالميّة) وبالقضيّة الهزليّة (قضيّة موقفنا من الغرب).

التّوصيف الموضوعي لهجمة نابليون على مصر:..............................

اعتبر الشّيخ أنّ هجمة نابليون على مصر هي من أجل إجهاض ما كان يمكن أن يكون من نهضة لهذه الأمّة.. يقول رحمه الله:- وئدت (اليقظة) أو كادت، وخربت ديارها أو كادت، واستؤصلت شأفة أبنائها أو كادت، واقتطعت أسبابها بالسّطو أو كادت، والحمد لله على نعماء (الحملة الفرنسيّة) التي كان سفاحها المبير (المتحضّر) ينوي أن ينشئ لبقايا السّيف والتّدبير من أبناء القاهرة العتيقة المهدّمة (قاهرة جديدة) يستمتعون فيها بجمالها وفنونها، ومسارحها وملاهيها، وتصوّرها ومتنزّهاتها، ويتبخّرون في شوارعها خدما فارهين للسّادة الأحرار أبناء «الحريّة والإخاء والمساواة» (51).

بداية التّغريب:..

قد أفاض الشّيخ شاكرفي جرائم محمّد علىّ الألباني المسمّى بالكبير، والعجيب أنّ بعض الإسلاميّين اليوم يريدون عدّ ما فعله هذا الباشا الكبير هو بداية نهضة لهذه الأمّة

---

(51) ص99-100، وقد كتب المفكّر القومي الملحد ساطع الحصري فصلا رائعا (وقد يصدق الكذوب) لا أجمل منه في ردّ افتراءات بعض الدّارسين، وقولهم:- إنّ النّهضة والتّنوير الثّقافي والعلمي في مشرقنا بدأت بالحملة الفرنسيّة النّابليونيّة على مصر، نشر في مجلّة الثّقافة القاهرة سنة1948، وقد أعيد طبعه مع فصول أخرى في كتاب «آراء وأحاديث في التّاريخ والإجتماع» مركز دراسات الوحدة العربيّة.

موافقة لهم للتّغريبيّين (52).

وكتاب الشّيخ لمحة خاطفة للصّراع الدّائر بين الإسلام وخصومه، وكشف للألوان الجديدة لهذا الصّراع، فحريٌ بالشّباب المسلم الإطّلاع عليه ودراسته.

وبعد: ....

هذا شيء قليل من ترجمة الشّيخ محمود محمّد شاكر رحمه الله تعالى، أردنا أن نعرف به وأن نكشف عن معركة أهل الإسلام ضد زنادقة الأدب الذين مازالوا يعيثون في عقل الأمة فسادا، وهي تنبيه لهذا الجانب العظيم (جانب الثقافة واللغة والأدب) وإشارة إلى أهميته، والذين يحتقرون هذه المعركة إنّما يستخفون بهذه الأمة، إذ لا حياة لأمة من الأمم دون لغتها ودون آدابها، ولغة أي قوم هي وعاء دينهم ومشاعرهم وأحاسيسهم وهوية وجودهم، ولذلك صدق الشيخ شاكر عندما قال:- "ونحن نعرف أنك لا تحترم أية أمّة ولا تقدرها إلا بعد أن نحترم لغتها وتاريخها، وليس شيء أخطر على هدم الأمة من أن تجعل أبناءها يحتقرون لغتهم" (53).. والمساحة المخصصة لهذا البحث لا تسمح بالتوسع لبيان أكثر عن هذا الشيخ الجليل وعن معتقداته ونتائج فكره ونظره، ولكن يكفي أن يخرج قارئ هذه الترجمة بصورة تقريبية عن شيخ العربية في هذا الزمان، وقد رأى البعض أن يسمي الشيخ بـ (المحقق للتراث)، واعتبر هذا من باب التعظيم له، ولكن ليعلم أن تحقيق التراث هو البداية الفنية لمسلم هذا العصر، وهي عملية فنية، والأمة بحاجة لها ولا شك، بل هي الضرورة الأولى لإحياء الأمة، ولكن -ويالأسف- إن الكثير من العاملين قد توقفوا عند هذه النقطة الإبتدائية، وظنوها منتهى الطلب، وهي في الحقيقة تعادل عملية (فك الخط للعالم في ابتداء أمره، فالمطلوب هو القراءة العلمية الواعية لهذا التراث العلمي الذي ورثناه الآباء والأجداد، ولذلك أحسن الشيخ شاكر رحمه الله في رفضه لكلمة (تحقيق)، واستبدلها بكلمة (قراءة)، فإنّ القراءة العلمية العملية هي ما تحتاجه أمّتنا في هذا

---

(52) انظر ما كتبه البعض في مجلّة الإنسان - الإسلاميّة!! في عددها الأوّل.. وقديما قيل: اعرف المضمون من عنوانه.

(53) رياض الفكر لعبد الرزاق البصير ص28.

العصر، القراءة التي تهضم التاريخ والتراث وتستوعبه على ما هو عليه، ثمّ تبدأ بعمليّة إنتاج لا يذهب بعيدا عن حاجات الأمة وضروراتها، ولا يسفه إلى دنايا الأمور وصغائرها، فإنّ التكرار آفة وإن تجمّلت بأثواب مصبوغة مزركشة، وهذه الأثواب لا يمكن أن تستر عجز العقل المسلم المعاصر في الإبداع العلمي العملي، ولذلك لقد كان الشيخ عظيما في اهتمامه بالتراث، اهتمّ به تحقيقا، واهتمّ به قراءة، واهتمّ به إبداعا، فأعاد للكلمة رونقها، والشيخ شاكر فضله الأعظم على قارئه هو مدّ القارئ الملتزم بالثّقة الكافية في تاريخ الأمة ولغتها..

لم يترك الشيخ مجلدات كثيرة من قلمه وإنشائه، لكن ما يميّز الشيخ هو الوضوح الذي تحسه في داخل نفسه مع كل كلمة يكتبها، وهو شيء تكاد تفقده في كتابات المعاصرين، ولذلك عمد هؤلاء (الضعاف) في أنفسهم إلى ستر هذا الجهل بـ(الرمزية) المفرطة، بحيث تجزم أن كاتب المقال إما جاهل يرصّ حروفا، وإمّا مجنونا يهذي بلا عقل..

ثمّ هناك أمر لا بدّ من بيانه وهو أنّ تلاميذ الشيخ لم يكونوا أوفياء له، فإنّ الشباب اليوم قد اكتشف الشيخ بنفسه وبتنقيبه هو، وذلك خلال الرحلة في اكتشاف الماضي القريب، وبدايات الشقاق الذي أورثنا ما نحن فيه، فانظر إلى تلاميذ طه حسين وماذا فعلوا لأستاذهم، وكيف جعلوا اسمه في كل أبحاثهم ودراساتهم، فأين تلاميذ الشيخ من هؤلاء؟!!.

وأخيرا، لقد كان الشيخ شاكر كما أراده أستاذه الرافعي حين قال له:- إنّ من الناس من يختارهم الله فيكونون قمح هذه الإنسانية، ينبتون ويحصدون ويعجنون ويخبزون ليكونوا غذاء الإنسانية في بعض فضائلها (54).

رحم الله الشّيخ شاكر وألحقه بالصّالحين

أمين أمين

---

(54) وحي القلم 60/2.

من يرد الله به خيرا يفقّهه في الدّين

مسألة في

حكم تارك الصلاة -1-

الشيخ / أبو بصير الشامي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا. وبعد.

فإن كثيرا من الناس -ممن يزعمون أنهم مسلمون- قد تركوا الصلاة، واستهانوا بها وبأمرها، وشغلوا عنها بالدنيا وملذاتها، وإغراءاتها وأعمالها، فلا يعرفون الجمعة ولا الجماعات، ولم يتوجهوا -في حياتهم- مرة نحو القبلة ساجدين أو راكعين لله رب العالمين..!-

والذي زاد الطين بلّة، والخرق اتساعا، هو ما يشيعه دعاة الإرجاء والتجهم بين الناس من أقاويل وأراجيف مفادها: أنه لا يضر مع التصديق والإعتقاد كفر مهما كان بواحا، وأن المرء الذي يأتي بالاعتقاد هو مؤمن، ومن أهل الشفاعة الذين تطالهم شفاعة الشافعين، وإن لم يأت بشيء من الأعمال الظاهرة، أو كان ظاهره التمرد والخروج عن طاعة الله عز وجل.

فهو مادام ينتمي إلى أبوين مسلمين - ولو بالإسم- أو ينطق بشهادة التوحيد -ولو باللسان فقط- فهو مسلم مهما كان منه من عمل، هكذا أفهموه وعلموه، فأضلوا بذلك الناس، وهوّنوا عليهم الكفر البواح، وآخر ما يفقد من الدين الصلاة، فزادوهم رهقا

وتفريطا على تفريط..

فدعانا ذلك إلى أن نتناول هذا الموضوع الهام، موضوع الصلاة وحكم تاركها، إبراءً للذمة وتحذيرا للأمة، (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيٍّ عن بينة) [الأنفال43].

وسوف أتناول في هذا المبحث النقاط التالية:

- أهمية الصلاة.
- حكم من يترك الصلاة كليًا.
- حكم المصلي الذي لا يحافظ على الصلوات الخمس.
- مناقشة أدلة المخالفين في المسألة.
- معاملة تارك الصلاة.

1 - أهمية الصلاة:

إعلم أن الصلاة لها شأن عظيم في الإسلام، فهي عموده الذي لا يقوم بناء صحيح بدونه.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة».

وهي أول ما فرض من العبادات بعد شهادة التوحيد، افترضها الله تعالى ليلة المعراج، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقاتل الناس إن تركوها..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله».

وهي أهم أركان الإسلام بعد شهادة التوحيد، لذا كان على العلماء -في حركتهم الدعوية- أن يعنوا بها الأهمية بعد التوحيد، من حيث التلقين والتعليم..

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن معاذاً رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة..».

ومراعاة لهذا الأصل فقد رتب البخاري -رحمه الله- في كتابه الصحيح أولاً كتاب الإيمان والعلم، ثم رتب بعدُ كتاب الصلاة ومتعلقاتها ولوازمها..

وهي آخر ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته، وهو على فراش الموت حيث

قال: «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم».

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله في الأمصار: إن أهم أمركم عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد اضاعة.

وهي أفضل الأعمال إذا أقيمت في ميقاتها:

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على ميقاتها» قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين»، قلت ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فإن قبلت قبل سائر عمله، وإن ردّت رُدَّ عليه سائر عمله:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فمن أداها بحقها -أي الصلاة- قبلت منه، وقبل منه سائر عمله، ومن ردت عليه صلاته، ردّ عليه سائر عمله».

فيه أن الصلاة شرط لقبول الأعمال، وأن حبوطها مؤداه إلى حبوط جميع الأعمال.

وهي آخر ما يفقد من الدين، فبفقدها يفقد المرء كلّ دينه:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخره الصلاة».

والعباد يرزقون بالأموال من أجلها، فقد خاب وخسر من شغل بالأموال عنها:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قال: إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة».

وهي ممحاة للذنوب. مطفأة للنار، مطهرة للنفس:

قال تعالى: (لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار) [المائدة 13].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الصلوات الخمس، يذهبن بالذنوب كما يذهب الماء الدّرن».

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن العبد إذا قام يصلي أتي بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقيه، فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه».

إنها صورة -من صور الرحمة والمغفرة- ما أجملها وما أروعها لو تصورها العبد وهو قائم بين يدي الله تعالى..!

وقوله «بذنوبه كلها»، يفيد أن الصلاة تكفّر جميع الذنوب بما في ذلك الكبائر(1)..

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تحترقون تحترقون -أي بسبب ذنوبكم ومعاصيكم- فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها، ثم تنامون فلا يكتب عليم حتى تستيقظوا».

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن لله ملكًا ينادي عند كل صلاة: يا بني آدم قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها فأطفئوها».

أي قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها بذنوبكم ومعاصيكم، فأطفئوها بالوضوء والصلاة.

وقال صلى الله عليه وسلم: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء» قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا».

قال ابن العربي: وجه التمثيل، أن المرتد يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثوبه، ويطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات تطهر العبد من أقذار الذنوب حتى لا تبقى له ذنبا إلا أسقطته وكفرته (2).

وعن عبد الله بن مسعود قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني عالجت امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها من دون أن أمسها، فأنا هذا فاقض فيّ ما شئت. فقال عمر: لقد سترك الله لو سترت نفسك، قال فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم شيئا، فقام الرجل فانطلق، فأتْبَعه النبي صلى الله عليه وسلم رجلا دعاه، وتلا عليه هذه الآية: (أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل، إن الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين). فقال رجل من القوم: يا نبي الله هذا له خاصة؟ قال: «بل للناس كافة»[رواه مسلم] (3). وفي رواية، قال له صلى الله عليه وسلم: «هل حضرت الصلاة معنا؟» قال: نعم، قال: «قد غُفر لك».

في رواية، قال له صلى الله عليه وسلم: «أرأيت حين خرجت من بيتك، أليس قد توضأت فأحسنت الوضوء؟» قال: بلى يا رسول الله، قال: «ثم شهدت الصلاة معنا؟ فقال:

---

(1)- باستثناء الذنوب المتعلقة بحقوق العباد.. هذا ما يستلزمه مبدأ الأخذ بمجموع النصوص ذات العلاقة بالمسألة.

(2)- صحيح الترغيب: 140/1.

نعم يا رسول الله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإن الله قد غفر لك ذنبك» (مسلم).

والحديث فيه ذكرى لمن يترك الصلاة بحجة أنه يتابع المنكرات، ويقع في الفجور والمعاصي.. فقد خاب وخسر وندم ولات حين مندم من اجتمع فيه ترك الصلاة ومواقعة المنكرات والمعاصي، إنها ظلمات بعضها فوق بعض.

وهي -أي الصلاة- ترفع عن صاحبها السيف عند حدوث الزلات، وحصول الشبهات..

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله اتق الله!! فقال: «ويلك، أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟!» قال: ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال: «لا، لعله أن يكون يصلي» قال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم». (مسلم).

فانظر كيف أن الصلاة شفعت لذلك الرجل، علمًا أنه قال قولة يستحق عليها ضربة سيف تفصل رأسه عن عنقه..

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا غزا قومًا لم يغز حتى يصبح، فإن سمع أذانا أمسك، وإن لم يسمع أذانا أغار بعد ما يصبح. (البخاري).

لأن الأذان علامة على أن القوم من أهل الصلاة..

وقال صلى الله عليه وسلم: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذاك المسلم له ذمة الله وذمة رسوله». (البخاري).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إني نهيت عن قتل المصلين». (صحيح الجامع).

أي بالشبهات والظنون المرجوحة، والكفر المحتمل، أما إن ظهر منهم الكفر البواح، وتحققت الردة، فلا يشفع لهم أمام حد الله شيء.

2- حكم تارك الصلاة كلياً:

أقول: الراجح في تارك الصلاة كليًا أنه كافر بيقين خارج من دين الإسلام، وذلك كله

(3)- قال النووي في الشرح 80/17: معنى عالجها أي تناولها واستمتع بها، والمراد بالمس الجماع، ومعناه استمتعت بالقبلة والمعانقة وغيرها من جميع أنواع الإستمتاع إلا الجماع. وشاهدنا مما تقدم بيان أثر الصلاة على الذنوب والمعاصي، وليس التهوين من شأن اقتحام المعاصي والمنكرات، التي قد لا تؤمن عواقبها ومضاعفاتها

مع الإقرار بوجوبها، هذا ما نصت عليه أدلة الكتاب والسنة، وأقوال السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم من أئمة الهدى والدين، وإليك بيان ذلك:

أما أدلة الكتاب، فقد قال تعالى: (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصّل الآيات لقوم يعلمون) [التوبة:11].

مفهوم المخالفة يقتضي أنهم إذا لم يتوبوا من الشرك، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ليسوا إخواننا في الدين، ولا تنتفي أخوة الدين مطلقا إلا عن الكافرين. ولكن لمّا جاءت نصوص أخرى تصرف الكفر عن تارك الزكاة، كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه مسلم وغيره: «ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه، إلا جعله الله يوم القيامة يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره، حتى يقضي الله تعالى بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار».

قلت: فكونه يترك للمشيئة إما إلى الجنة وإما إلى النار، فهذا من شأن من يموت على التوحيد وليس على الكفر، لأن الكافر ليس له يوم القيامة إلا النار. والشاهد أنه لما وجدت القرينة الشرعية التي تصرف الكفر عن تارك الزكاة دون تارك الصلاة، تعين القول بكفر تارك الصلاة دون تارك الزكاة.

ومن الأدلة كذلك على كفر تارك الصلاة، قوله تعالى: (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون. خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) [القلم: 42-43].

وهذا وعيد بحق الكافرين والمنافقين الذين كانوا يدعون في الحياة الدنيا إلى السجود لله تعالى والصلاة فيأبون، فكل من كان في الحياة الدنيا تاركًا للصلاة فهوداخل في الوعيد الوارد في الآية، وصفة الكفر والنفاق تطاله وتشمله.

قال ابن كثير في التفسير (435/4): ولما دُعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلى الرب عز وجل فيسجد له المؤمنون، ولا يستطيع أحد من الكافرين والمنافقين أن يسجد بل يعود ظهر أحدهم طبقا واحدا، كلما أراد أحدهم أن يسجد خرّ لقفاه عكس السجود كما كانوا في الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون ا-هـ.

وقال البغوي في التفسير: فقوله عز وجل: (يدعون إلى السجود فلا يستطيعون)، يعني الكفار والمنافقون، تصير أصلابهم كصياصي البقر فلا يستطيعون السجود ا-هـ.

وفي الحديث الذي يرويه مسلم وغيره، وفيه أن الله تعالى يلقي في نار جهنم جميع الكفار من عبدة الأصنام وكفار أهل الكتاب وغيرهم، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فماذا تنتظرون، لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثًا، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها، فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد نفاقا ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه.

والسؤال: إذا كان هذا حال من كان يسجد لله من تلقاء نفسه ومن يسجد نفاقًا، فما هو حال الذي لم يسجد لله قط، وأين مكانه؟

فالحديث يدل على أنه ألقى في نار جهنم مع الكافرين، حيث لم يبق من العباد لمعاينة ذلك المشهد العظيم إلا من كان يسجد طوعا من تلقاء نفسه، أو من يسجد نفاقا، ولم يشاركهما صنف آخر من العباد، كما أن تارك الصلاة والسجود لم يُعدّ من يعبد الله من بر أو فاجر، فلزم أن يكون من الكافرين، ومع الكافرين في جهنم.

وفي السنة فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة كافر مشرك، فقال: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة».

وقال صلى الله عليه وسلم: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر».

وقال صلى الله عليه وسلم: «بين الكفر والإيمان ترك الصلاة».

وقال صلى الله عليه وسلم: «بين العبد وبين الكفر والإيمان الصلاة، فإذا تركها فقد أشرك».

وقال صلى الله عليه وسلم: «أخر ما يفقد من الدين الصلاة». قال الإمام أحمد: كلّ شيء يذهب آخره، فقد ذهب جميعه، فإذا ذهبت صلاة المرء، ذهب دينه اهـ.

وقال صلى الله عليه وسلم: «آخر عرى الإسلام نقضا: الصلاة».

وقال صلى الله عليه وسلم: «بين العبد والكفر أو الشرك ترك الصلاة، فإذا ترك الصلاة فقد كفر».

وقد ألزم النبيّ صلى الله عليه وسلم الأمة الخروج بالسيف على الحاكم الذي لا يقيم الصلاة في رعيته وبنفسه كما يخرج على الحاكم الكافر كفرًا بواحًا، فدل أنهما يشتركان

في صفة الكفر البواح الذي يلزم الأمة بالخروج عليهما سواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إلا أن تروا كفرا بواحاً عندكم من الله فيه برهان» وفي حديث أخر قال صلى الله عليه وسلم:«لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة». وذلك عندما استأذنوه في الخروج على أئمة الظلم والجور.

ومن الآثار الصحيحة الثابتة عن الصحابة -رضي الله عنهم- في كفر تارك الصلاة، قول عمر رضي الله عنه: «لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة». وهذا نفي يفيد الخروج من مطلق الدين، حيث ليس له أدنى حظ في الإسلام.

وعن ابن مسعود قال: «من ترك الصلاة فلا دين له».

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «لا إيمان لمن لا صلاة له، ولا صلاة لمن لا وضوء له».

أي كما أن الوضوء شرط لصحة الصلاة، وأن المرء لا ينتفع من صلاة بغير وضوء، كذلك الصلاة هي شرط لصحة الإيمان، يثبت بثبوتها، وينتفي بانتفائها.

وعن حماد بن زيد عن أيوب قال: ترك الصلاة كفر، لا يُختلف فيه.

وعن محمد بن نصر المروزي: سمعت إسحاق يقول: صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة كافر وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة عمداً من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر.

قلت: والكفر الذي يرونه هو الكفر الأكبر المخرج من الملّة، بدليل أنهم يرون كثيرا من الأعمال تركها كفر أصغر لا يُخرج من الملة.

قال ابن حزم: وقد جاء عن عمر، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أن من ترك صلاة فرض واحدة متعمدا حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد، ولا نعلم لهؤلاء من الصحابة مخالفا اـهـ.

وقال الحافظ المنذري: قد ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم إلى تكفير من ترك الصلاة متعمدا لتركها، حتى يخرج جميع وقتها منهم عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، ومعاذ بن جبل، وجابر بن عبد الله، وأبو الدرداء رضي الله عنهم. ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعبد الله بن المبارك، والنخعي، والحكم بن عتبة، وأيوب السختياني، وأبو داود الطيالسي، وأبو بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب، وغيرهم رحمهم الله تعالى (4) اـهـ.

(4)- انظر صحيح الترغيب والترهيب: 1/226-235.

وقال ابن تيمية في الفتاوي (308/28): وأكثر السلف على أنه يقتل كافراً، وهذا كله مع الإقرار بوجوبها ا-هـ.

وقال رحمه الله (49/23): فأما من كان مصرا على تركها لا يصلي قط، ويموت على هذا الإصرار والترك، فهذا لا يكون مسلما ا-هـ.

وقال حنبل: حدثنا الحميدي قال: وأخبرت أن ناسًا يقولون: من أقرّ بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئا حتى يموت، ويصلي مستدبر القبلة حتى يموت، فهو مؤمن ما لم يكن جاحدا، إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه إذا كان مقرا بالفرائض واستقبال القبلة، فقلت: هذا الكفر الصراح، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله وعلماء المسلمين. قال تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين).

وقال حنبل سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: من قال هذا فقد كفر بالله ورد على أمره وعلى الرسول ما جاء به عن الله (5) ا-هـ.

قلت: تأمل إذا كان من يقول بهذا القول يكفر كفرا صراحا، فكيف بمن يتصف بذلك، لا شك أنه أولى بالكفر البواح.

ثم إن الذي يصلي مستدبر القبلة -عن علم وغير مستحل لها- هو أفضل من الذي لا يصلي مطلقا، ومع ذلك يكفر ويخرج من الملّة.. فتأمل.

وقال ابن القيم رحمه الله: لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدا من أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر، وأن إثمه عند الله أعظم من إثم قتل النفس وأخذ الأموال، ومن إثم الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه، وخزيه في الدنيا والآخرة (6) ا-هـ.

قلت: ولا شيء أعظم إثما عند الله من قتل النفس إلا الشرك، كما قال تعالى: (والفتنة أشد من القتل)، والفتنة هنا يراد بها الشرك، فدل أن إثم ترك الصلاة لا يعدو أن يكون أقل إثما من الإشراك بالله تعالى، لأنه هو ذاته شرك.

وقال رحمه الله في مسألة حبوط أعمال تارك الصلاة: أما تركها بالكلية، فإنه لا يقبل معه عمل، كما لا يقبل مع الشرك عمل، فإن الصلاة عمود الإسلام كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقبول سائر الأعمال موقوف على قبول الصلاة، فإذا ردت، ردت

---

(5)- عن الفتاوي لابن تيمية: 209/7.

(6)- كتاب الصلاة، ص 16 ط المكتب الإسلامي.

عليه سائر الأعمال..

وقال: الترك نوعان: ترك كلي لا يصليها أبدا، فهذا يحبط العمل جميعه (7).ا-هـ

قلت: ولا يحبط العمل جميعه أو يمنع سائر الأعمال من القبول إلا الشرك، كما قال تعالى: (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) [الزمر 65]. وقال تعالى: (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) [الأنعام 88].

فدل أن ترك الصلاة شرك، وأن تاركها مشرك الشرك الأكبر الذي لا ينفع معه عمل ولا اعتقاد، والله أعلم.

وقال الشوكاني رحمه الله: فالتارك للصلاة من الرعايا كافر، وفي حكمه من فعلها وهو لا يحسن من أذكارها وأركانها مالا تتم إلا به، مع إمكانه ووجود من يعرفه بهذه الصلاة.

وقال: من كان تاركًا لأركان الإسلام وجميع فرائضه، ورافضًا لما يجب عليه من ذلك من الأقوال والأفعال، ولم يكن لديه إلا مجرد التكلم بالشهادتين فلا شك ولا ريب أن هذا كافر شديد الكفر حلال الدم (8) ا-هـ.

هذه أدلتنا التي ألزمتنا بترجيح القول بكفر تارك الصلاة، ولما رأينا أدلة المخالفين -سنأتي إلى ذكرها ومناقشتها- لا يكن أن تقوم كدليل يصرف كفر تارك الصلاة كليا إلى الكفر العملي الأصغر، كان لا بد من القول بكفر تارك الصلاة كفرًا مخرجا من الملة.

ولحسم القضية مع القوم، فإننا نقول: نحن في قولنا بكفر تارك الصلاة، قد وقفنا مع أدلة الكتاب والسنة، وجمهور الصحابة الذين لم يعلم لهم مخالف، ومع أكثر السلف من بعدهم كما يقول ابن تيمية وغيره، فأي الفريقين أحق بالحق والأمن والسلامة، وباتباع منهج السلف الصالح، من كان واقفا في قوله مع الدليل، والصحابة، وأكثر السلف، أم من كان واقفا في صف الخلف، ومن هم دون الصحابة مكانة وعلمًا ؟!!.

(يتبع)

---

(7)- كتاب الصلاة ص 64-65.

(8)- انظر الدواء العاجل، ص 29، وإرشاد السائل، ص 43، ضمن مجموعة الرسائل السلفية.

عمرو بن معدي كرب
والمكارم التي فقدت في جاهليّتنا

الدكتور محمّد العبد الرّحيم السّبيعيّ

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله القائل:

«إنّما بعثت لأتمّم صالح الأخلاق».

لا شكّ أن هناك كثيرا من الأخلاق الحميدة، والصفات النبيلة التي كان يتحلى بها الجاهليون، فجاء الإسلام ليهذبها، ويوجّهها الوجهة الصحيحة الخيّرة، ويطلقها موجّهة على الدرب الصحيح لتغيير موازين الأرض، فتفوز بالدنيا والآخرة..

كانوا يتحلّون بالشجاعة والرجولة، ولكنها من أجل القبيلة، وفي سبيل مفاخر الدنيا، فجاء الإسلام ليجعلها في سبيل الله، والشجاعة هي الشجاعة..

وكانت عندهم الغيرة التي تصل ببعضهم إلى قتل ابنته مخافة العار، فجاء الإسلام ليقرّها كما قال الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: «أنا أغير من سعد والله أغير منّي ومن سعد»، ولكن جعلها غيْرة لله ولدينه وعلى محارمه..

وكان عندهم الصدق حتى أنّ أبا سفيان أبى أن يكذب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، حتى لا يؤثر عنه كذب، فجاء الإسلام ليقرّ هذه الصفة الكريمة، ويجعلها صدقا من أجل الله وفي ذات الله، إلى غير ذلك من الصّفات الكثيرة التي أقرّها وهذّبها ووجّهها.

وإنّ من أفضل الشّعر الذي يمثّل هذا الجانب، شعر الحماسة.. يقول مصطفى صادق الرّافعي، عليه رحمة الله، في تاريخ آداب العرب:-

"الفخر فطرة في العرب فلا يكاد السيد منهم يأتي عملا إلا وتناوله شاعر قبيلته، وفخر به، لأنّه لسان القبيلة ومؤرّخ أحسابها، وإذا فخر أحدهم بفضيلة في نفسه كالشجاعة والكرم أو غيرهما، فإنّما يكون ذلك في معرض التذكير بهذه الفضيلة، واستشهاد التّاريخ الحيّ عليها، أو يكون توطيناً لنفسه، وتحميسا لها بما يهيّج كبريائها، كما يغنّي الشجاع في الحرب، وكما ينبه عن نفسه عند الضربة القاضية والطعنة النافذة، وهذا هو باب الحماسة" (1).

ولقد كان المسلمون حكاما ومحكومين يعلمون أبناءهم ويحفّظونهم دواوين الحماسة ليربوهم على مكارم الأخلاق وجميل الصفات..

ويعتبر عمرو بن معدي كرب الزبيدي من الشعراء المُجيدين في هذا المجال، وهو فارس قبل أن يكون شاعراً، وتعتبر قصيدته الداليّة من غرر قصائده التي أجاد فيها وأبدع..

وهو يبدأها ببيان مقياس الجمال عنده، وأنه ليس مظاهر جوفاء، ومناظر ظاهرها الحسن وباطنها القبح، وإنّما الجمال اكتساب المحامد، وصنع المآثر، وبناء المجد:-

ليس الجمال بمئزرٍ فاعلم وإن رُدِّيتَ بردا
إنّ الجمال معادنٌ ومناقبٌ أورثنَ مجدا

وهو قد تهيّأ لنائبات الزمان، وعوادي الدهر، فهو متيقظ ليس نائما:-

أعددتُ للحدثانِ سابغةً وعدّاءً علَنْدَى (2)

لكن قومي ماذا أعدّوا؟!! إنّهم قد أعدّوا راقصة وقوّادا تردّى...

والسيف والفرس التي أعدها لها صفات عظيمة، لأنّه سينازل أقواما أشدّاء، لذلك أعدّ لهم:-

نهْداً وذا شُطَبٍ يقُدُّ البَيْضَ والأبدان قدّاً (3)
وعلمتُ أنّي يوم ذاك منازل كعبا ونهدا

(1) تاريخ آداب العرب 2/103.

(2) السّابغة: الدرع الواسعة، والعدّاء: الفرس الكثير الجري، والعلندى: الغليظ الشّديد.

(3) الفرس النهد: العظيم الطويل، والشطب: —— السيف.

ويبين قوّة هؤلاء القوم، حتى يبين أنّهم أقران أكفاء، لتبرز فضيلته إذا انتصر عليهم:-

قوم إذا لبسوا الحديد   تنمّروا حلقاً وقَدّاً(4)

وانظر إليه وهو يبيّن ضرورة الإستعداد للمعركة، فيرسله مثلا رائعا:-

كلّ امرئٍ يجري إلى   يوم الهياج بما استعدّا

فهو قد استعدّ، وكما قيل في المثل:«قبل الرماء تملأ الكنائن».. وفعلا كلّ يذهب إلى المعركة بما تهيّأ له، وكأنّي به والله أحسن حالا من أهل جاهليتنا اليوم، الذين يمضون إلى المعركة بما استعدوا من لعب كرة، "وبأمّ كلثوم معكم في المعركة" (5).

ولقد كان من عادة العرب في بعض الأحيان أن يأتوا بالنساء إلى المعركة، لتشجيع المقاتلين، ولمنعهم من الفرار، وإذا فإنّ عمراً عندما يرى نساء قومه هاربات، قد أثّرن في الأرض الصلبة من شدة الجري، وتظهر (لميس) سافرة بمحاسنها التي كانت تخفيها، ويبدو الجد في الأمر، ففي هذا الموقف الذي يحتاج إلى جلد الرجال، وصبر الأبطال، وشجاعة الأسود، عند ذلك نراه ينعطف إلى الأعداء ليقاتل ويصمد:-

لما رأيت نساءنا   تفحصن بالمعزّاء شدّاً(6)

وبدت لميسُ كأنّها   بدرُ السّماء إذا تبدّى

وبدت محاسنها التي   تخفى وكان الأمر جدّاً

نازلتُ كبشهمُ ولم   أر من نزال الكبش بدّاً

وانظر إلى روعة تعبيره في قوله:-

وبدت محاسنها التي   تخفى وكان الأمر جدّاً

فلقد أحسّ بجدية الأمر، وأنه لا بد من مواجهته بكل ما أوتي من قوة عندما رأى لميس تظهر محاسنها وهي الكريمة التي كانت تخفي محاسنها، فتأخذه الغيرة على نسائه، ويعمد إلى كبش القوم وزعيمهم لينازله:-

---

(4) تنمّروا: تشبّهوا بالنّمور. الحلق: الدروع المنسوجة حلقتين.

(5) مقالة للخبيث أحمد سعيد في حرب 67 ليشجع المصريين...!!

(6) المعزاء: الأرض الصلبة. يفحصن: يؤثرن فيها من شدة الجري.

نازلتُ كبشهمُ ولم أر من نزال الكبش بدّاً

انظر إلى تعبيره عن زعيم القوم بالكبش، وأنه لا خيار له في مواجهته ليدافع عن عرضه وعشيرته.

فقل لي بربك يا أخي:-

كم ليس عندنا بدت محاسنها التي تخفي؟! وكم من نسائنا استغثن ولا مغيث؟! وكم هتك عرض لم يثأر له؟! بل ياليتهن يسلمن من الراعي، فهو العدو الآن، فالذئب هو الذي يرعى الغنم..!!

ويبيّن عمرو شدة بأسه على الأعداء، وهم لمعرفتهم به ينذرون إن لقوه أن يقتلوه، وهوينذر إن لقيهم أن يصبر ويشدّ عليهم بما استطاع من قوة:-

هم ينذرون دمي وأنـ ـذرُ إن لقيتُ بأن أشدّاً

والحرب فيها فقد الأحبّة والأصدقاء، وفيها المصائب والخسائر، ولذلك فهي تحتاج إلى الصبر، وعدم الجزع، وتحتاج إلى الجلد:-

كم من أخ لي صالح بوّأته بيديّ لحدا

ما إن جزعت ولا هَلَعْـ ـتُ ولا يردّ بكاي زندا(7)

وهو لا يجزع لأنه يعلم أن الجزع والهلع والبكاء لا يردّ أحدا، ولا يعيد شيئا ولو كان قليلا، ولهذا فلا بدّ من الصبر، وهو خلق تخلّق به منذ ولادته، بل هو مجبول عليه:-

ألبسته أثوابه وخلقتُ يوم خلقتُ جَلْدا

وهو لا يقبل أن تقصر به همّته، بل إنه سيد الرجال الأفذاذ الذين ذهبوا، ولذلك فإن الأعداء يحسبون له ألف حساب، وقد كان يقال إنه يعدّ بألف فارس:-

أغني غناء الذاهبيـ ـنَ أعَدّ للأعداء عدّاً

ثم انظر إليه وهو يضع زبدة قصيدته في هذا البيت الرائع الذي يصف فيه نفسه بالسيف الفرد، الذي لا يمكن أن يوضع في غمده مع سيف آخر، فهو فرد دائما:-

ذهب الذي أحببتهم وبقيت مثل السيف فردا

---

(7) يستعملون الزند في الشيء القليل كما يستعملون كلمة قطمير.

وبعد يا أخي:-

فهذه بعض صفات أهل الجاهلية الأولى، فهل ترى لها اليوم من باقية عند أهل الجاهلية المعاصرة؟!!...

الواقع يصدّق ذلك أو يكذّبه...!!

وفقك الله

عن حاتم الأصمّ أنّه قال:

أربعة لا يعرف قدرها إلاّ أربعة: الشباب لا يعرف قدره إلاّ الشيوخ، والعافية لا يعرف قدرها إلاّ أهل البلاء، والصحّة لا يعرف قدرها إلاّ المرضى، والحياة لا يعرف قدرها إلاّ الموتى.

<الاستعداد ليوم المعاد>

ابن حجر العسقلاني - رحمه الله

إلى مجلة (الهدي النبوي):

نصيحتكم وصلت ولكن..

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..

تقدمت مجلة (الهدي النبوي) في عددها الثالث عشر بنصيحة إلى مجلّتنا (المنهاج) كتبها الأستاذ «مصعب السامرائي» من نيويورك - أمريكا، وقد قام الكاتب بنقد مقال العدد الأول والذي كان تحت عنوان (الكشف عن زبد الرؤوس الجاهلة)، والنصيحة واجبة بين المؤمنين، فنصيحة الأخ الكاتب على الرأس والعين وفي القلب، ولكن ليسمح لنا الكاتب ومعه البعض من الذين وصلنا منهم ملاحظات على ذلك المقال أن نعين أنفسنا وإياهم في تفهّم الواقعة التي نشأ معها المقال، وحال الرجل المذكور فيه، أعني «علي حسن عبد الحميد الحلبي» فإنّ عدم علم الإخوة بالحال أوقعهم في خطأ إصدار بعض الأحكام، مع أنّ الإخوة الذين يعرفون حال المذكور وخبروا أمره معاشرة وسلوكا، جاءت منهم الرسائل والاتصالات مبشرة بأن المقال تحقيق لإحدى صور الواجب الملقى على عاتقنا وذلك بالرد على المخالف، وتنفير الناس من سوء الأخلاق التي تلبس بها بعض المخالفين.

ابتداءً عرّض «السامرائي» بأنّ كاتب المقال لم يذكر اسمه واستعاض عن اسمه بحرفين (ج ج)، وعذر «السامرائي» أنّه لم يطّلع على المجلة بل أرسل له بعض إخوانه المقال، وللأسف لم يكن مرسل المقال أمينا حين زاد هذين الحرفين في مكان الإسم، لأن هذين الحرفين لا وجود لهما في المقال ولا في المجلة، ولو اطّلع «السامرائي» على المجلة، وكان باستطاعته قبل أن يكتب مقاله أن يحصل عليها، وإن لم يستطع فباستطاعة مجلّة (الهدي النبوي) أن تحصل عليها وتتدارك هذا الخطأ، لعلم حقيقة الحال، فإنّ المقال هو جزء ثان

للعنوان الأصلي (قراءات ومواجهة)، كان الجزء الأوّل بعنوان (حسن حنفي وزندقة اليسار الديني)، والمقال الثاني بعنوان (الكشف عن زبد الرؤوس الجاهلة)، وهما لكاتب واحد هو «أبو قتادة الفلسطيني»، ولذلك بطل قول «السامرائي» حين حكم على أنّ كاتب المقال علم أنّ مقاله شين فلم يذكر اسمه.

وجّه «السامرائي» همّه في تجميع الألفاظ النّاقدة لعلي الحلبي ومن هم على شاكلته في تياره، واعتبر هذا الفعل لا يليق بالداعي إلى الله تعالى.. ولبيان الحال أقول:

1 - لقد ترك الكاتب حيثيات كل عبارة وحكم، ولم يلتفت إلى وقائعها أصحّت أم أخطأت، أصدقت أم كذبت، وذهب يزايد علينا بوجوب ترك ما سمّاه (شتائما)، وأنا أرفض أن أسمي تلك العبارات التي جاءت في المقال سبابا وشتائما، بل هي عبارات شرعيّة وعلميّة كما سيأتي في النّقطة التالية، أقول لماذا ترك «السامرائي» حيثيات هذه العبارات وأدلّتها ولم يناقش فيها شيئا ليثبت ظلمها وخطأها بدل أن يسمّن تجميعاته للألفاظ التي استنكرها بتكرار بعض الألفاظ أكثر من تسع مرّات، مثل تسمية ما يفعله علي الحلبي بالسرقة العلمية. لقد سميت الحلبي سارقا، وحكمت عليه بالإرجاء، وقلت أنّه مدلّس على قارئه بتزوير كلام الأئمّة، فهلاّ تطوّع الأستاذ «السامرائي» ليثبت أنّنا افترينا عليه، وأنّه بريء من هذه التّهم؛ فهذه الألفاظ لا عيب فيها في ذاتها، بل هي عبارات شرعيّة، إنّما تكون جريمة وافتراءً حين نطلقها على من لا يستحقّها، فنسمّي الأمين كذّابا، ونسمّي السّنّي مبتدعا، ونسمّي النّاصح مدلّسا، هذا هو الباب الذي كان على الأستاذ «السامرائي» أن يلجه وأن يعالجه، لا أن يذهب ويصنع ما صنع.

2- هذه العبارات يا أستاذنا الفاضل ليست بالشّتائم السّوقيّة، ولا بالألفاظ المبتذلة، بل هي عبارات شرعيّة، وأنا أجزم أنّها لو صدرت من مشايخك وإخوانك في حقّ خصومهم لأسبغتم عليها ثوب العلميّة والموضوعيّة، وليت الأستاذ «السامرائي» قدّم نصيحته لمن خرج عن حدود الأدب في الحوار -أعني الحلبي- في كتابه المذكور وذلك حين طعن بألفاظ لا تليق الأستاذ «محمّد قطب» حفظه الله، والشّيخ «أحمد شاكر» رحمه الله، حين رفع عنهما صفة العلمية واعتبر أنّهما أصحاب فورة وحماس في إطلاق الأحكام والألفاظ، وأنا لست معنيا بتجميع ما يكتبه مشايخك وما يقولونه في حقّ خصومهم، لكني أجزم أنّك تعرف الكثير وسمعت منها الكثير، فاعلم يا أستاذ أنّي معك: أنّ الواجب علينا أن نترفّع عن الألفاظ المبتذلة وعبارات أهل الأسواق الرذيلة، ونتعامل بيننا بالألفاظ الشّرعيّة، فالسّارق نسميه باسمه، والمرجئ نسميه باسمه، والمدلس مدلّسا، ومن اعترف على نفسه

أنّه مستعدّ أن يقدّم أسماء خصومه الذين يكفّرون الحكّام إلى دوائر المخابرات أنّه خادم الطّاغوت، أمّا من أتى علينا ليغيّر أسماءنا فيعجم مهملها ويهمل معجمها ويحرّك ساكنها من أجل اللّمز وإضحاك القارئ، فهذا الذي ينبغي أن يدعى إلى تعلّم الأدب ونقوم عليه جميعا.

3- ستبقى المسألة مفهومة في خصومة المختلفين في المسائل العلميّة إن بقيت في دائرة إثبات خطأ المخالف ومحاولة تنفير النّاس منه، لكن لن تقبل أبدا حين نستعدي الطّواغيت على إخواننا من المخالفين.

من حقّك يا أستاذ «سامرائي» أن تخالف الشّيخ عمر عبد الرحمن فلا ترى طريقه، ولا تسمّي ما يفعله تلاميذه جهادا، لكن ليس من الدين في شيء حين تكون مع الدّولة الأمريكيّة الكافرة ضدّه، وحين القبض عليه تقول أو يقول مخالفه:- الحمد لله لقد خلّصنا الله من شرّه..!!!

نعم ومن حقّ إخوانك من أصحاب «علي الحلبي» في الجزيرة العربية أن يخالفوا الشيخ «سفر الحوالي» والشيخ «سلمان العودة» ويجلس الجميع جلسة أهل العلم حتى لو وصل الأمر إلى التّضارب في ما بينهم بالنّعال (كما حدث مع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في حادثة الإفك ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم على المنبر)، ولكن بأي وجه يمكن أن تفسّر دعوة أتباع «ربيع المدخلي» وأحباب «علي الحلبي» الدّولة السعودية الطاغوتية أن تتدخل لإيقاف شرور الشيخين سفر وسلمان، وحين يتمّ القبض عليهما يشكرون للدولة فعلها، بل يدعو بعضهم إلى قتلهما لاستئصال شرورهما.

من حقّك أن تخالفني وأن تسمّيني بأيّ اسم تظنّه فيّ من الأسماء الشّرعيّة لكن ليس من حقّك، بل من قبح الفعل وضلاله، بل قد يصل إلى الكفر، أن تجعل نفسك حذاءً للطاغوت، قتّاتاً لا تراعي حرمة مسلم.

إنّ نقاشك يا أستاذ «سامرائي» يحتاج إلى حديث طويل، وطويل جداً، ولكني سأقتصر على هذا، وأرجو من الأستاذ «السامرائي» أن يأخذ كلامي مأخذ النّصيحة لا مأخذ النّقد، وسأضطر أن أتوقّف مع اعتقادي أنّ عندي الكثير لأتحدث به معك، مع شكري الخالص لك على نصيحتك.

وكتبه:

أبوقتادة الفلسطيني

سلسلة:
الذب الأحمد
عن شريعة أحمد ﷺ

بغية القاصد في بيان قواعد المصالح والمفاسد (4)

بقلم الشيخ/
أبي الوليـــد الأنصـــاري

المسألة الثانية

في بيان صور مما يقع فيه الناس من المخالفة للشرع في باب المصالح والمفاسد:

وهي كثيرة لا تتناهى، ذلك أن غالب الخلق كما قال العلامةُ ابن القيم رحمه الله تعالى في إغاثة اللهفان، إنما يريدون قضاء حاجاتهم منك وإن أضرَّ ذلك بدينك ودنياك فإنما غرضهم قضاء حوائجهم ولو بمضرّتك (1).

قلت: وهذا الذي نذكره من حرص الناس على قضاء مصالحهم وإن أدى إلى فوات مصالح الآخرين، واقع مثله منهم وإن أدى إلى فوات مصالح الدين والشريعة، وترى كثيرا منهم يسارع في تحقيق ما يزعم أنه من مصالح الدين، وحقيقة الحال أنه يسعى في تحصيل مرغوبات نفسه ومطالبها، كما قال الحسين بن علي رضي الله عنهما: إن الناس عبيد الأموال، والدين لغو على ألسنتهم يحوطونه ما درّت به معايشهم فإذا مُحّصوا بالابتلاء قلّ الديّانون (2).. ولا يزال الشيطان أعاذنا الله منه يزين له ذلك حتى تتبدل الموازين عنده، ويصبح ما وافق هواه ولبّى حاجته هو الحق والصلاح والخير والهدى، وما سوى ذلك فباطل مردود، نعوذ بالله تعالى من الخذلان، وسبق أن نبهتك على أنه ما من

(1)- إغاثة اللهفان 69/1.

(2) الصناعتين - الكتابة والشعر لأبي الهلال العسكري ص8.

عمل يقدم المرءُ عليه إلا وهو يرى أن المصلحة في فعله، حتى أن ابليس لما أراد غواية آدم عليه السلام وزوجه لم يزل يخدعهما بأن المصلحة في مخالفة أمر الله سبحانه بالأكل من الشجرة، وأن المصالح المترتبة على ذلك خُلْد وملك لا يبلى، وحلف لهما على ذلك جهد يمينه وأنه لهما ناصح أمين، حتى اطمأنا إليه وجرى عليهما ما جرى مما قصه الله تبارك وتعالى، فكل من كان هذا حاله من الخلق في تقديم مصالح نفسه وأهوائها على مصالح دينه وأخراه فله من مشابهة إبليس في ذلك نصيب ولا بد، وابليس -أعاذنا الله تعالى من شره- له في هذا الباب مصايد ومكايد لا نجاة منها إلا بالالتجاء إلى الله تعالى والاعتصام به، وطلب العلم النافع الذي يتميز به الحق من الباطل والغي من الرشد، ومن هذا الذي ذكرت لك يتبين معنى ما قيل من أن صور المخالفة للشرع بحجة تحصيل المصالح كثيرة لا تتناهى، فإنها متعددة بتعدد أهواء النفوس وتنوع مطالبها وتلبيسات الشيطان ومكايده للعباد، ولكن ما سنذكره من الصور والأمثلة على ما وقع فيه القوم من الضلالات والمخالفات فإنما هو بمنزلة الأصل لما لم يذكر، أو بمنزلة القواعد الكلية التي ترد إليها الفروع العملية، فلنبدأ في بيان الأمثلة والصور المشار إليها فنقول والله المستعان:

الأولى: فيما وقعوا فيه من الإعراض عن دعوة الناس إلى التوحيد وجمعهم على غيره، ودحض شبهاتهم في ذلك.

أما كون التوحيد هو أصل دعوة الأنبياء والمرسلين فقد مضى منه ما فيه الكفاية إن شاء الله تعالى، وحَسبُ من خالفَ هذا الأصل أن يكون مخالفا لجميع الأنبياء والرسل وكفى بذلك سقوطا وخذلانا (نسأل الله تعالى السلامة والعافية)، وأما الإنشغال بدعوة الناس إلى غيره وجمعهم على ما سواه: فمنه ما يكون من مصالح الدين وقد حث الشارع عليه وندب إليه إلا أنه مكمل للتوحيد متمم له، وليس بخاف عليك -إن شاء الله تعالى- أن العبد لا يقبل منه شيء من العمل حتى يحقق ما أمره الله تبارك وتعالى به من توحيده واخلاص العبودية له، ومع ذلك فإنك ترى من القوم مَنْ يجمع مِنَ الناس كل شاردة وواردة وهو يرى ماهم عليه من الشرك والكفر والإعراض عن الدين ، وهو لا ينكر عليهم من ذلك مثقال حبة من خردل، ثم لا يمنعه ذلك عن دعوتهم إلى ما يدعوا هو إليه ظنا منه أن في جمعهم على ذلك مصلحةً يُرتجى تحقيقها .

فمنهم من يجمع الناس على تهذيب النفوس وتزكيتها، وتحليها بالأخلاق الفاضلة الحميدة من صلة الأرحام وبر الوالدين والصدق والأمانة والوفاء بالعهد والكرم والشجاعة

وغير ذلك مما لا ينكره ذو عقل سويٍّ فضلا عن شريعة الله القويمة ودينه العظيم، ومع ذلك ترى منهم من يدعوا غير الله تعالى ويستغيث بالأولياء، ويعتقد فيهم النفع والضر وغير ذلك من جلي الشرك وخفيه وهم لا يرفعون بذلك رأسا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومنهم من رأيناه -والله- يجمع الناس على طلب العلم وتحصيله، وهم فيه أهل همة واجتهاد، يسهرون لأجله ليلهم، ويظمئون في حفظه نهارهم، ويعكفون على تعلم فقه مسائل الأحكام وغيرها من مسائل الآداب والمعاملات ، ويعرضون عن النظر في مسائل التوحيد، والنظر في ردود علماء أهل السنة رحمهم الله تعالى على مقالات الفرق وتعلمها وتعليمها لما يؤدي إليه ذلك من وقوع مفسدة التنازع والاختلاف، وتفويت مصلحة الاجتماع والائتلاف -زعموا- ولا يضرهم مع ذلك أن يجالسهم الرجل ويغشى حِلَقهُم أيًا كان مذهبه ولأي طائفة انتسب، فلا فرق عندهم بين سني وبين رافضي ومعتزلي وجهمي وغيرهم من المنتسبين للفرق: حتى لقد شاهدنا منهم من يعظم رؤوس الزنادقة والباطنية، كابن عربي وابن سينا وابن الريوندي وابي حيان التوحيدي وغيرهم من المتشككين في الدين المتهمين بالزندقة والإلحاد، لأنهم بزعمهم من أهل العلم، وتعظيم أهله واجب...! وعلى مثل ذلك فلتبك البواكي.

وكذا حال كلٌ من يجمع الخلق على عبادة من العبادات أو طاعة من الطاعات كدعوتهم إلى حضور الجمع والجماعات بل وإلى القتال وإعداد العدة له مع إغفاله دعوة الناس إلى أصل هذا الدين وهو تجريد العبودية لله وحده لا شريك له، وهم في ذلك يزعمون أن دعوة الناس إلى التوحيد وإنكار ما هم عليه من بدع وضلالات وشرك وكفر تنفير لهم عن الدين وصدّ عنه، فليت شعري إلى أي دين بعد ذلك يدعون...؟!

وأما جمع الخلق على مصالح الدنيا واتخاذُ ذلك شرعةً ومنهاجاً، فاعلم أن مصالح الدنيا كما قال الإمام أبو محمد عز الدين بن عبد السلام السلمي (3) :- تنقسم إلى الضرورات والحاجات والتتمات والتكملات. فالضرورات كالمآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح وغيرها، وأقل المجزئ من ذلك ضروري، وما كان في أعلى المراتب فهو من التتمات وما كان متوسطا بينهما فهو من الحاجات، قلت: ولا شك أن تحصيل الضروري من ذلك والذي به قوام الحياة مطلوب ولا بدّ، لكن على أن لا يكون ذلك هو سبيل الدعوة، ولأجله اجتماع الخلق مع تضييع أصل الدين والإعراض عن بيانه للناس

(3)- قواعد الأحكام 60/2/1.

وتعليمه لهم، فترى من القوم من يجمع الناس على تحسين المعايش وتوسيع الأرزاق وتحصيل المكاسب الدنيوية من الصناعات والتجارات والقيام على دفع ما ابتليت به الأمة من الجوع والفقر وضيق اليد، ويتوهم أن المصلحة العظيمة في ذلك، لما يرى من إجتماع الناس إليه وتكالبهم عليه، وأن دعوتهم إلى الدين والتوحيد وبيان الحق لهم وتحذيرهم من الباطل والضلال والهوى سبب لصدهم وإعراضهم.

ومنهم من يقيم دعوته على تحصيل العلوم الدنيوية من الطب والهندسة (4) والمساحة وتحصيل علوم الإقتصاد والفلك والصناعات والتجارات والزراعات وغير ذلك، وينشغل بدعوة الخلق والعباد إليه ويزعم أنّ ما حلّ بالأمة من ضعف وذلّة ومهانة وتكالب من أعداء الله عليها إنما هو بسبب تخلفها عن تحصيل ما عند الأمم الكافرة من هذه العلوم، ويغفل عما وقعت فيه الأمة من إعراض عن كتاب الله وشريعته وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وما وقعت فيه من تحكيم التشريعات الأرضية، والأهواء والعادات المتبعة وموالاة أعداء هذا الدين ومحبتهم والتشبّه بهم فيعرض عن بيانه للناس وتحذيرهم منه، ولا فرق عند هؤلاء بين القائل بخلق القرآن، ومن قال هو كلام ربنا الرحمن، فكل ذلك لا حساب له عندهم وليس هو في مقام المصالح المعتبرات..!

ومنهم من يجمع الناس على محاربة ما انتشر بينهم من أنواع المفاسد في الإدارات والمعاملات والأخلاق مما هو معروف مشهور ويعرض عن دعوتهم إلى نبذ ما هو سبب لذلك كلّه مما هو مشتهر بينهم من الشرك والكفر والله المستعان.

وقس على ذلك كل من اشتغل عن دعوة الناس إلى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله وحده لا شريك له بغير ذلك من المصالح الدنيوية بل وحتى الإنشغال عن هذا الأصل الأصيل والركن العظيم بغيره من مصالح الآخرة مما هو مكمل له ولا يصح إلا به كما هو حال القوم على نحو ما ذكرت لك.

وكأني بعد ذلك بجاهل قد قرأ كلامي هذا فظن أني أنكر أصل ما عند القوم أو أنّي ادعوا إلى إهماله وتركه والإعراض عنه..! فلا يعجل.. فليس الأمر بحمد الله تعالى على ما يظن، فإنّ الله تعالى قد أمرنا بالدخول في السلم كافة وأمرنا بأن نأخذ ما آتانا بقوة،

(4)- الكلمة أصل في العربية، فإنه يقال الهِنْدِسُ من الرجال: المجرب الجيد النظر. المُهَنْدِس: مقدر مجاري القُنيّ حيث تحفر، والإسم الهندسة: وفي اللسان/ هو مشتق من الهنداز وهي فارسية أصلها أو أنداز فصيرت الزاي سينا لأنه ليس في شيء من كلام العرب زايٌ بعد الدال.

وحذّرنا من الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه، ولسنا بحمد الله تعالى ممن يقول إن الدين قشر ولباب ومعنى هذا أنه يؤخذ لبّه ويرمى قشره ، نعوذ بالله من الضلالة، إلا أننا نقول إن جميع مصالح الآخرة مما يجتمع القوم عليه من طلب العلم وتحصيله، والإجتهاد في الطاعات والعبادات وتهذيب النفوس وتزكيتها وإعداد العدة للجهاد وغير ذلك كله إنما شرع مكملا للتوحيد متمما له، ولا يقبل من العبد منه شيء حتى يأتي بما لا يصح إلا به وهو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله وحده، وقد قال نبينا صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: «بعثت لأتمم صالح الأخلاق» ونحوه عند الحاكم والبيهقي بلفظ «إنما » في أوّله، ومع ذلك لم يقل أحد إنه صلوات الله وسلامه عليه انشغل بهذا عن دعوة الناس إلي الأصل الذي بعث به أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، بحجة أن في ذلك تنفيرا لهم عن الدين، وأن المصلحة في جمعهم على ما كانوا يحبونه من مكارم الأخلاق أولا بل كانوا يتفاخرون به، حتى إذا ما ألفهم وألفوه وهم على ما هم عليه من كفر وباطل دعاهم إلى التوحيد بعد ذلك وآمرهم به..! بل إنه صلوات الله وسلامه عليه لما كاد يميل إليهم ويفعل بعض الذي كانوا سألوه قال الله تبارك وتعالى له (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لا تخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا. إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) [الإسراء: 75/73] ولسنا نشك بحمد الله تعالى أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إنما أراد أن يعطيهم ما سألوا تحصيلا لمصلحة إسلامهم وطمعا في دخولهم هذا الدين وقد ذكر ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسيرها (5) عن قتادة ومجاهد أنهم أطافوا به ليلة فقالوا أنت سيدنا وابن سيدنا ، فأرادوه على بعض ما يريدون، فهّم أن يقارفهم في بعض ما يريدون، ثم عصمه الله، كذا قال قتادة، وقال مجاهد رحمه الله قالوا له: ائت آلهتنا فامسسها . وذكر كذلك عن ابن عباس رضي الله عنه أن ثقيفا كانوا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أجلنا سنة حتى يهدى لآلهتنا ، فإذا قبضنا الذي يهدى لآلهتنا أخذناه ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة، فهمّ رسول الله أن يعطيهم ويؤجلهم، فقال الله (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) ومع هذا الذي أراده صلوات الله وسلامه عليه فإن الله تبارك وتعالى بيّن له ما ذكر في الآيتين وأن المصلحة في هذا الثبات على أصل الدين ودعوة الناس إليه، دون مواراة أو مداراة أو ركون إلى ما يطلبونه

(5)- تفسير الطبري/130 .

ويسألون فمن شاء بعد ذلك آمن ومن شاء بعد ذلك كفر.

ومثل هذا بل أشدّ منه يقال في جمع الناس على مصالح الدنيا مع الإعراض عن دعوتهم إلى هذا الأصل واهماله فإنه إذا كان لا يجوز تقديم شيء من مصالح الاخرة المكملة للتوحيد عليه، فمن باب أولى أن يقال: لا يجوز الإنشغال بدعوة الناس إلى شيء من مصالح الدنيا والإعراض عن دعوتهم إلى توحيد الله تعالى، والذي هو أصل المصالح كلها كما سبق بيانه، ولسنا ننكر العمل على تحصيل مصالح الدنيا من المكاسب والمعايش والأرزاق ولا تحصيل العلوم الدنيوية النافعة كعلم الطب وغيره بل نقول تحصيلها من فروض الكفايات على الأمة، ولو أن الأمة تركت تحصيل ذلك جملةً لأثمت، ولأن ذلك من المصالح العامة التي تنزّل منزلة الضرورة الخاصة، فوجب على مجموع الأمة أن تقدّم لتحصيل هذه العلوم من تتحقق به الكفاية بذلك ولو كان تحصيل هذه العلوم لا يتم إلا بأخذها من الكفار، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: أن الإنتفاع بآثار الكفار في أمور الدنيا جائز واستدل على ذلك باستئجار النبي صلى اله عليه وسلم وأبي بكر لما خرجا من مكة مهاجرين «ابن اريقط» رجلا من بني الديل هاديا خريتا، والخريت الماهر بالهداية، وائتمناه على أنفسهما ودوابهما ووعداه غار ثور صبح ثالث، وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمهم وكافرهم وكان يقبل نصحهم، وكل هذا في الصحيحين ثم قال رحمه الله تعالى فأخذ علم الطب من كتبهم مثل الاستدلال بالكافر على الطريق واستطبابه بل هذا أحسن لأن كتبهم لم يكتبوها لمعيّنٍ من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة، وليس هناك حاجة إلى أحد منهم بالخيانة، بل هي مجرد انتفاع بآثارهم، كالملابس والمساكن والمزارع والسلاح ونحو ذلك (6)، فهذا الذي نقول بين واضح ولله الحمد وليس بين تحصيل شيء من هذه المصالح ودعوة الناس إلى المصلحة العظمى مصلحة التوحيد شيء من التعارض ولله الحمد، ولا يزعم ذلك إلا جاهل بمطالب الدين والشريعة، وإنما حصل التعارض في أذهان القوم لمّا رأوا أن دعوة الناس إلى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله وحده تستلزم افتراق الناس إلى فريقين. وإعراض أكثرهم عن متابعة الدين والشرع إلى متابعة ما ورثوه عن آبائهم وأسلافهم وقلدوهم فيه في الحب والبغض والموالاة والمعاداة، ورأوْا في مقابل ذلك أن جمعهم على تلك المصالح الدنيوية ودعوتهم إليها أيسر وأسهل لإجتماعهم وأدعى للتأليف بينهم، فحسبوا أن اجتماعهم ولو

---

(6)- مجموع الفتاوي 114/4.

على ذلك مصلحة مطلوبة يجب تحصيلها وتحصيل أسبابها، وأن تفرقهم مفسدة يجب دفعها.

وكذلك يقال لمن انشغل عن دعوة الناس إلى الدين والتوحيد وعن محاربة ما انتشر بينهم من الشرك بالله والكفر بآياته والإستهزاء بدينه، بدعوتهم إلى محاربة ما هو دون ذلك من فساد في المعاملات والأخلاق وغير ذلك فإنه ترك دفع ما هو أعظم المفاسد على الإطلاق واشتغل بدفع غيرها مع أنه لا تعارض بين دفع جميعها ولو افترضناه لكان دفع الشرك أولى والله أعلم.

* ثم اعلم -وفقك الله تعالى- أن طريق دفع ما وقع فيه القوم من الشبهات في هذا الباب يكون في مقامات عدة:

* فأما المقام الأول: فهو أن تعلم أن العبد لا سبيل له لمعرفة شيء من مصالح نفسه فضلاً عن مصالح دينه إلا بتعليم الله تعالى له، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى «وقد وسع ربنا كلّ شيء رحمة وعلما. فوسعت رحمته كل شيء، وأحاط بكل شيء علما فهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، بل هو أرحم بالعبد من نفسه كما هو أعلم بمصلحة العبد من نفسه، والعبد لجهله بمصالح نفسه وظلمه لها يسعى فيما يضرها ويؤلمها، وينقص حظّه من كرامته وثوابه، ويبعدها من قربة، وهو يظن أنه ينفعها ويكرمها، وهذا غاية الجهل والظلم، والإنسان ظلوم جهول، فكم من مكرم لنفسه بزعمه، وهو لها مُهين، ومرفه لها، وهو لها متعب، ومعطيها بعض غرضها ولذتها، وقد حال بينها وبين جميع لذاتها، فلا علم له بمصالحها التي هي مصالحها، ولا رحمة عنده لها فما يبلغ عدوه منه ما يبلغ هو من نفسه (7)..

قلت وإذا كان هذا حال العبد مع مصالح نفسه فلا شك أن حاله مع ما هو من مصالح الآخرة أعظم، فليس له إلا التسليم المطلق لما جاء به كتاب الله تعالى والإقتداء بدعوة الأنبياء والرسل إلى الدين والتوحيد، كما قال تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه (أولئك الذي هدى الله فبهداهم اقتده)[الأنعام/90]..

* المقام الثاني: أن الله تبارك وتعالى إنما أمرنا بدعوة الناس إلى دينه والإعتصام بحبله وكل فرقة وخلاف جاء الكتاب والسنة بذمّه فإنما هو ما كان لأجل الدنيا والتنافس عليها، أما إذا كان الإفتراق لأجل الدين والتوحيد وبيان سبيل المؤمنين من سبيل أعداء

---

(7)- إغاثة اللهفان 2/ 251.

هذا الدين، فإنه والله افتراق محمود بل واجب مفروض، وقد قال تعالى (وكذلك نفصّل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين) وما هذا التفصيل المشار إليه هنا إلا بيان آيات التوحيد والدعوة إليه وفي مقابله بيان الشرك والتحذير منه، وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه إلى توحيد الله والإيمان به، حتى فرق الله به بين المرء وزوجه، والأم وولدها، والأخ وأخيه، وسنته في ذلك سنة أنبياء الله ورسله من قبل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقول الله تبارك وتعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا...) [آل عمران103]. دليل، على أن الإجتماع إنما يكون على التمسك بدين الله الذي أمرنا به والتزام كلمة الحق والتسليم لأمر الله تعالى، دلّ على ذلك تقييد الإعتصام بحبل الله في الآية، وقد ذكر ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره عن ابن مسعود رضي الله عنه أن حبل الله هو الجماعة وروى عنه كذلك وعن قتادة والسدي ومجاهد وعطاء والضحاك أنه كتاب الله، وعن أبي العالية وآخرين أنه إخلاص التوحيد لله تعالى (1).

* المقام الثالث: أن تعلم أن أغلب الناس إنما يسعون في تحقيق مصالح الدنيا وجلب منافعها ودفع مضارها، وكثير منهم يعتقد أن اتباعه لهذا الدين وقيامه به كما أمر لا يحصل إلا مع فوات شيء من مصالح دنياه أو وقوع بعض المضار مما لا يحتمله، فإذا وجد من يدعوه إلى تحصيل مصالح الدنيا وجلب منافعها ودفع مضارها على أنّ ذلك مما أقرت بتحصيله الشريعة وجاء به الدين، سارع إلى تلبيته والإجابة إليه، طمعاً في تحقيق مصالحه تلك، ولا يزال أصحاب تلك الدعوات يعدونه ويمنّونه وغيره ممن اجتمع إليهم من العباد بتحسين أحوالهم في معايشهم ومكاسبهم وأرزاقهم، وأعداء الله تبارك وتعالى يحولون بين أصحاب هذه الدعوات وبين تحقيق ما وعدوا الناس به، حتى يظهر لأتباعهم عجزُهم عن ذلك وعدم قدرتهم عليه، فيصدون عن دعوتهم حين ذلك ويعرضون، ويتخذ أعداء الله ذلك ذريعة للطعن في الدين وأهله، ويوهمون أولئك الهمج الرعاع أن ذلك لعدم صلاحية هذا الدين لتحصيل مصالح الدنيا وجلب منافعها..!

فلا إله إلا الله...، كم صدت هذه الفتنة الكثير من الخلق، بل أكثرهم عن القيام بهذا الدين ومعرفة حقيقته وأصل دعوته ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقارن –بربك– بين حال هؤلاء القوم مع أتباعهم وبين أتباع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم مع أتباعهم الذين قال الله تبارك وتعالى عنهم في كتابه الكريم (وكأيّن من نبي

---

(8)– تفسير الطبري: 30/4/3

قاتل معه ربيّون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) [آل عمران: 146-148]. وأين حال أصحاب هذه الدعوات مع أقوامهم من حال رسولنا صلوات الله وسلامه عليه مع أصحابه الذين أوذوا وأخرجوا من ديارهم وأموالهم وفارقوا أزواجهم وأبناءهم لأجل الدين والتوحيد، والذين حصِرُوا في شعب مكة ثلاث سنين لا يجدون ما يأكلون إلا ورق الشجر حتى تقرحت أشداقهم وكان أحدهم يضع كما تضع الشاة من شدة الجوع، فكلّ ذلك كان تحقيقا لما دعاهم إليه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله وحده، رضي الله عنهم أجمعين، فإن كنت تأسى على أحد يا عبد الله... فعلى أصحاب تلك الدعوات، فإنهم في واد وسبيل الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه في واد: نسأل الله تعالى مقلب القلوب الثبات على دينه حتى نلقاه.

* المقام الرابع: احتج بعضهم بقول الله تبارك وتعالى حكاية عن نبيه شعيب عليه السلام أنه قال لقومه كما قال تبارك وتعالى: (وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط * ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين * بقيّت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ.) [هود: 84-86]. ونحو هذه الآية في سورة الأعراف قوله تعالى (وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين * ولا تقعدوا بكل صراط توعِدون وتصُدّون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذا كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) [الأعراف: 85-86]. فذكروا أن الله تعالى حكى عن شعيب عليه السلام أنه دعا قومه إلى تحصيل مصالح دنياهم وجلب منافع أرزاقهم والتوسعة عليهم فإن أرادوا أنه صلوات الله وسلامه عليه دعاهم إلى ذلك مع تقديم دعوتهم إلى توحيد الله تعالى والإيمان له ونصرة دينه ثم كان ما دعاهم إليه من تحصيل مصالح دنياهم ودفع مفاسدها مكمّلا لدعوته إياهم إلى أصل المصالح وهو توحيد الله تعالى فنعم، وهو ديننا والذي ندين الله تعالى، وإن أرادوا أن في ذلك دليلاً على جواز جمع الناس على مصالح الدنيا وتحصيل منافعها ثم اتخاذ ذلك

وسيلة ومفتاحاً إلى دعوتهم إلى التوحيد وإقناعهم به فباطل مردود ولقد كان كافيا في أبطال دعواهم تلك ما افتتح الله تبارك به الآية فقال: (وإلى مدين أخاهم شعيبا: قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره...) [النحل:36]. ومضى قوله تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) [الانبياء 25]، فهذا هو مفتاح دعوة الأنبياء والرسل كما دلت عليه هذه الآيات المحكمات، والله الموفق.

* المقام الخامس: واحتجوا كذلك بما قصه الله تبارك وتعالى في شأن هارون وموسى عليهما السلام مع قومهما وما كان منهم لما عبدوا العجل وقالوا له: (نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى. قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا. ألا تتبعن أفعصيت أمري. قال يَبْنَؤُمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي) [طه: 92-94] وشاهدهم في ذلك قوله تعالى في الآية حكاية عن هارون عليه السلام إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل فذكر حرصه على دفع مفسدة تفرقهم مع ما كانوا عليه من عبادة العجل..!

قلت: الجواب عن ذلك أن يقال أولا: ذكر ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره أن أهل العلم رحمهم الله قد اختلفوا في صفة التفريق بينهم الذي خشيه هارون عليه السلام فقال بعضهم: كان هارون خاف أن يسير بمن أطاعه وأقام على دينه في اثر موسى، ويُخلف عبدة العجل، وقد قالوا له (لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) فيقول له موسى (فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي) بسيرك بطائفة منهم وتركك طائفة وراءك وروى ذلك باسناده عن ابن زيد، وروى عن ابن جريج رحمه الله أن المعنى خشيت أن نقتتل فيقتل بعضنا بعضا، ثم قال ابن جرير رحمه الله: وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي قاله ابن عباس من أن موسى عذل أخاه هارون على تركه اتباع أمره بمن اتبعه من أهل الإيمان فقال له هارون إني خشيت أن تقول فرقت بين جماعتهم، فتركت بعضهم وراءك، وجئت ببعضهم وذلك بين في قول هارون للقوم: (يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري) وفي جواب القوم له وقولهم (لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) (9)، قلت: وهذا الذي ذكره ابن جرير هو الحق إن شاء الله تعالى، ذلك أن موسى عليه السلام كان قد أوصى أخاه هارون عليه السلام كما في سورة الأعراف بقوله (اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) [الاعراف: 142]. فأمره

---

(9) تفسير الطبري 203/16/9.

أن يصلحهم ويحملهم على طاعة الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له وكان من اصلاحه كما روى ابن جرير عن ابن جريج أن لا يدع العجل يعبد، ثم إن قوم موسى أضلهم السامري كما قال ربنا تبارك وتعالى عنهم فبادر هارون عليه السلام بالإنكار عليهم كما قال تعالى (ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري) فكان جوابهم أن قالوا (لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) وأما مكثه عليه السلام معهم بعد إنكاره عليهم فإنه ذكر تعالى عذره في ذلك وأنه قال: (يبنؤمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين) يقول لأخيه لا تجعلني في منزلة من خالف أمرك وعصاك، وظلم نفسه بعبادة العجل، وعن مجاهد أن القوم الظالمين هم عبدة العجل، كذا ذكره ابن جرير، فكان حال هارون عليه السلام وعذره في ذلك بين أمرين، بين خشيته أن يسير بمن آمن معه ويدع من كفر منهم وقد أمر بمنعهم من ذلك والحيلولة بينهم وبينه، وبين استضعاف القوم له حتى كادوا يقتلونه، فأنكر عليهم ما قدر عليه من عبادة العجل واعتذر عما لم يقدر عليه من منعهم منه والسير بهم إلى موسى عليه السلام، وفي قوله تعالى ولا تجعلني مع القوم الظالمين دليل على أنه عليه السلام قام بما هو أصل دعوة الأنبياء والرسل من الإنكار عليهم وتحذيرهم من الشرك الذي وقعوا فيه ونهيهم عنه، فإنه لو لم يفعل لدخل في جملتهم وكان حكمه حكمهم، وحاشاه صلوات الله وسلامه عليه، فقبل موسى عليه السلام عذره، و(قال رب اغفر لي ولأخي وادخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين) وهذا الجواب الذي ذكرناه هو الموافق إن شاء الله تعالى لما حكاه سبحانه عن الأنبياء والرسل من أن أصل دينهم واحد، وأن مفتاح دعوتهم إلى الله تعالى هو دعوة الناس إلى التوحيد والكفر بالطاغوت والإيمان بالله وحده، فأين هذا مما يهرف به القوم، والله المستعان.

الثانية: استعمال اصطلاحات وألفاظ موهمة دخيلة في ايصال الحق للناس على أنه من باب اللين والحكمة.

أقول وبالله التوفيق، الألفاظ خيول المعاني، ولا سبيل لمعرفة المعنى المراد من الخطاب إلا بالدلالة عليه باللفظ، ولذا فإن هذا الموضع من أشد المواضع وأكثرها خطورة لما قد يتخذه أعداء هذا الدين وأصحاب الضلالات والأهواء سبيلا لصرف الأمور عن حقائقها بتسمية الأشياء بغير أسمائها، ومن القوم من يرى في استخدام الألفاظ التي وضعها الشارع، أو بعضها للدلالة على ذواتها وحقائقها شدة وغلظة، كألفاظ الكفر والشرك والردّة، وفي مقابلها ألفاظ التوحيد والإسلام والإيمان وغير ذلك مما جاءت به الشريعة أو

مما اصطلح عليه علماء الأمة للدلالة على أمور معينة معلومة، كألفاظ الجهاد، ودفع الصائل، وقتال أعداء الدين، ولفظ دار الكفر ودار الإسلام، وكذا دار الحرب وما جرى مجرى ذلك، ويرى في المقابل نفور الناس منها وإعراضهم عنها وصدودهم لمن يتلفظ بها فيعمد حين ذلك -للمصلحة بزعمه- إلى استعمال اصطلاحات موهمة، ولا دلالة لها على المعنى الشرعي الذي هو مراد للشارع، بل إنك تَجدُ كثيرا منها لا أصل لها في الدين، ولا هي منه من قريب ولا بعيد، بل ربما كانت مما اصطلح عليه أهل الملل والديانات المخالفة لدين الإسلام المعادية له، وهم يرون أن الرّعاع والعامة لا ينفرون من ذلك بل تجد المحل إلى نفوسهم والطريق إلى قلوبهم، لما فيها من الموافقة للأهواء والشهوات، فيحسبون أن ذلك من المصالح المعتبرات، والحق أنها أدواء مهلكة تُذهب الدين وتفسده، لما تؤدي إليه من قلب الحقائق وتغييرها، فتراهم يعمدون إلى ألفاظ لا وجود لها عند من سلف من أئمة الهدى في هذه الأمة، بل هي ألفاظ محدثة مبتدعة، دخيلة مخترعة، ولا أعني أنها دخيلة على اللغة -فليس الحديث عنها- وإنما أعني أنها دخيلة من جهة الدلالة على المعنى، فتراهم يقولون (الثورة- والثورية الإسلامية) و (المعارضة الإسلامية) و (الإنتفاضة) و(المرونة في الإسلام) و (الإنفتاح السياسي) و (حرية الفكر) و (الفكر التحريري) و(حقوق الإنسان) و (الإنسانية) و (النهضة الإسلامية) و (الصحوة الإسلامية) و(عالمية الإسلام) و(التصور الإسلامي) وغير ذلك من العبارات التي يلهج بها الكثيرون في زماننا ولا وجود لها كما علمت على ألسنة السلف، بل هو مما جرى استعماله على ألسنة أعداء هذا الدين أولا ثم تلقفه هؤلاء وأوجدوا له اصطلاحات جعلوها شرعية بزعمهم اذ قيدوها بلفظ (الإسلام)، ولم يأذن الله تبارك وتعالى بها ولا رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وألفاظ الشارع توقيفية كما ذكر الأئمة رحمهم الله تعالى، كما نقول الإسلام والإيمان، وفي مقابلها الكفر والشرك والنفاق، ونقول كذلك الجهاد والصلاة والصيام وغير ذلك. وإذا نَسَبْت إلى شيء منها قلت: مسلم ومؤمن ومقابلها كافر، ومشرك، فأخبرني -أدام الله توفيقك- ما نقول في النسبة إلى (المعارضة الإسلامية، والمرونة في الإسلام، وحرية الفكر، والنهضة، والصحوة، والتصور)...؟! وأنت لو حذفت من هذه العبارات (لفظة الإسلام) لوجدتها بعينها عند عباد الصليب وأذناب اليهود، وقد علمت أنهم مصدرها، وإذا استُعملت فإنها عند الإطلاق تنصرف إلى ما وضعوها هم له، لأنها من اصطلاحاتهم فهم يقولون مثلا عن تشريعاتهم أنها ذات مرونة ويعنون بذلك أنها قابلة للتغيير والتبديل بحسب أهواء الناس ومطالبهم واختلاف الزمان والمكان، فليت شعري من يقول المرونة في

الإسلام ما يعني بذلك..؟! إن أراد ما أرادوا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وأراحنا من نفسه..! وإن أراد ما ذكره الأئمة رحمهم الله تعالى من بقاء باب الإجتهاد مفتوحا فيما يستجد من مسائل وحوادث يجتهد العالم فيها بالرجوع إلى الكتاب والسنة فعلام أبهم العبارة... وموّه الخطاب.. وقلّد في تلك اللفظة أعداء الدين.؟! وقد كفانا ديننا مؤنة ذلك.

ومثال آخر حينما يقال -حرية الفكر- ويوصف المسلم الموحد بذلك فما المراد به..؟! وأعداء الدين المتربصون به يصفون أئمتهم بذلك، حتى أنني قد وجدت لبعض المتأخرين (10) منهم كتابا صنفه في الكلام على تاريخ ابن الريوندي الملحد أبي الحسين أحمد بن يحي بن محمد بن اسحاق المعروف بابن الريوندي وصفه بأنه من (أبرز مفكري القرن الثالث المستنيرين) ثم قال عنه «واتهم بعد وفاته بزمن (بشتى التهم التي وجدناها توجه في العادة إلي الأحرار المستنيرين في تاريخ الفكر الحر) فهذه عبارة صاحب فكر حرّ يثني على صاحب فكر حرّ -زعموا، وهما في ميزان الشرع زنديق يثني على زنديق، فهؤلاء أعداء الدين الممتلئون على أهله غيظا، تجري هذه العبارات على ألسنتهم بهذا المعنى الرّدي الباطل، حتى إذا ما جرت بها ألسنة الدعاة إلى هذا الدين وخطتها أقلام حملته فتن بها العوام من المسلمين وزادتهم حيرة إلى حيرتهم، واتخذها أعداء الله تعالى سلما للطعن في الدين والغمز فيه، واعلم أننا لولا خشية الإطالة لأتينا على هذه الألفاظ وغيرها الكثير واحدة واحدة، نبين عوارها، ونفضح خبيئتها إلا أننا نرجئه إلى مقام آخر إن شاء الله تعالى، لكن لا يخفى عليك هنا أن دين الله تعالى دين فصل لا هوادة فيه، وفي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه من النهي عن مشابهة الأمم الكافرة وأهل النفاق ومحاكاتهم في أقوالهم وأفعالهم الكثير حتى أن هذا الأصل كان مستقرا بين أصحاب النبي صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنهم، كما كان معلوما عند من عاداهم، وفي صحيح مسلم وعند الترمذي والنسائي وابن ماجة وأبي داود في السنن، واللفظ له من حديث مالك بن أنس رضي الله عنه قال «إن اليهود كانوا إذا حاضت منهم المرأة أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيت فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فأنزل الله تعالى ذكره -ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض.. إلى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- جامعوهن في البيوت، واصنعوا كل شيء غير النكاح، فقالت اليهود: ما يريد هذا

(10)- يدعى: عبد الأمير الأعسم في كتاب أسماه تاريخ ابن الريوندي الملحد -مقدمة الكتاب.

الرجل أن يدع شيئا من أمرنا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا ننكحهن في المحيض..؟! فتمعَّر وجه رسول الله صلى الله عله وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجا، فاستقبلتهما هدية من لبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث في آثارهما فسقاهما فظننا أنه لم يجد عليهما» والشاهد فيه قول اليهود لعنهم الله -ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئا من أمرنا إلا خالفنا فيه، وكذا قول الصحابة: يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا أفلا ننكحهن في المحيض..؟! قال شارح السنن (11) أي أفلا نباشرهن بالوطء في الفرج أيضا.. لكي تحصل المخالفة التامة معهم..؟! وإذا تبين لك هذا فاعلم أن من نهي الشارع عن التشبه بهم قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (12) :- ومما يدل من القرآن على النهي عن مشابهة الكفار: قوله سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا: وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) قال قتادة وغيره «كانت اليهود تقوله استهزاءً فكره الله للمؤمنين أن يقولوا مثل قولهم» وقال أيضا كانت اليهود تقول للنبي صلى الله عليه وسلم: راعنا سمعك، يستهزؤون بذلك وكانت في اليهود قبيحة، وروى أحمد عن عطية العوفي قال: كان يأتي ناس من اليهود فيقولون راعنا سمعك، حتى قالها ناس من المسلمين فكره الله ما قالت اليهود» وقال عطاء: وكانت لغةً في الأنصار في الجاهلية.. وقال أبو العالية: إن مشركي العرب كانوا إذا حدَّث بعضهم بعضا يقول أحدهم لصاحبه راعني سمعك فنهوا عن ذلك، وكذلك قال الضحاك: «فهذا كله يبين أن هذه الكلمة نُهي المسلمون عن قولها، لأن اليهود كانوا يقولونها، وإن كانت من اليهود قبيحة، ومن المسلمين لم تكن قبيحة لما كانت مشابهتهم فيها من مشابهة الكفار وطريقهم إلى بلوغ غرضهم».

وقال العلامة ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وأفعالهم: وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص عليهم لعائن الله، فإذا أرادوا أنه يقولوا اسمع (قالوا)(13)

---

(11)- عون المعبود 338/1 ط دار الفكر.

(12)- اقتضاء الصراط المستقيم 45.

(13)- غير موجودة في المطبوع والسياق يقتضيها.

راعنا ويُوَرّون بالرعونة كما قال تعالى: (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليًا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا)(14)..

قلت واعلم أن اليهود لعنهم الله أصل في تحريف الألفاظ وتبديلها فقد حكى الله تبارك وتعالى عنهم لما أمرهم أن يدخلوا القرية والباب سجدا ويقولوا حطة (فبدّل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) روى البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدلوا وقالوا حبة في شعْرة»، وكذلك مما ورد في السنة من تبديلهم الألفاظ أنهم كانوا إذا دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: «السّام عليك يا أبا القاسم» وفي رواية في الصحيح أن عائشة قالت لهم «عيكم السّام والذام واللعنة»، وكذلك فإن التحيّل على الدين مداره على تبديل الأسماء وتسمية الشيء بغير اسمه، ونقل العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في إغاثة اللهفان عن شيخه ابن تيمية رحمه الله تعالى، وجوها عديدة في ابطال الحيل التي تجعل الباطل حقا والحق باطلا فقال: «الوجه الثاني عشر: أن باب الحيل المحرمة مداره على تسمية الشيء بغير اسمه، وعلى تغيير صورته مع بقاء حقيقته فمداره على تغيير الإسم مع بقاء المسمّى وتغيير الصورة مع بقاء الحقيقة.. ثم ضرب مثالا بالمحلل.. ثم قال/ ومعلوم قطعا أن لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك إنما هو لما فيه من الفساد العظيم الذي اللعنة من بعض عقوبته، وهذا الفساد لم يزل بتغيير الإسم والصورة مع بقاء الحقيقة... إلى أن قال.. فإن المفسدة تابعة للحقيقة لا للإسم ولا لمجرد الصورة.. قلت/ فليتأمل القوم ما تلهج به ألسنتهم من تلك المقالات والعبارات، وإن ألبسوها رداء الإسلام إلا أن حقائقها على ما هي عليه لم تتغير ولم تتبدل إذ المعنى المراد منها والشائع ما اصطلح عليه واضعوها والله المستعان وقال الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى فحرام أن يسمّى الحق باسم الباطل والباطل باسم الحق، وقد قال تعالى: (إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) وقد أنذر عليه السلام بقوم يستحلون الخمر يسمونها بغير اسمها. (انتهى) (15). وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(يتبع)

---

(14)- تفسير ابن كثير 158/1.
(15)- احكام الأحكام 279/2.

نصيحتنا للمجاهدين..

الشيخ / أبو بصير الشامي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد.

فإننا نفاجأ بين الفينة والأخرى بمواقف وتصرفات، وأفعال خاطئة مشينة تحدث باسم الجهاد والمجاهدين، يترتب عليها سفك دم الأبرياء، وانتهاك الحرمات الآمنة بغير وجه حق أو دليل، مما عكس ذلك سلبًا على الجهاد والمجاهدين، وعلى سمعتهم حتى أصبح كثير من الناس يحصرون الجهاد، ودعوة الجهاد في تلك التصرفات أو الأفعال الخاطئة اللامسؤولة واللاشرعية.. حتى أصبح من العسير علينا أن نوصل دعوة الجهاد كما جاء بها الإسلام نقية واضحة صريحة إلى الناس، من دون أن تلامس أذهانهم بعض التصورات والمفاهيم الخاطئة بسبب تلك الممارسات.

لذا فإنه يتوجب علينا أن نتوجه بالنصح -والدين النصيحة- لكل أخ مجاهد أين كان موقعه وكانت لغته وجنسيته، نذر نفسه -مخلصًا- للجهاد في سبيل الله، محذرين

ومنذرين ومذكرين..

أعلم أخا الجهاد أن الدماء شأنها عظيم، وأن حرمتها مغلظة، لا يجوز سفك شيء منها إلا بنص جلي صريح، أي لا يجوز إعمال الظن في القتل وفي الدماء، فالقتل كالتكفير لا يجوز الإقدام عليه إلا بنص جلي –يسلم من المعارض– يفيد اليقين، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تكفير المسلم كقتله»، فكما أن التكفير لا يجوز الإقدام عليه إلا بيقين، كذلك القتل، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) [النساء: 94] وفي قراءة (فتثبتوا)..

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة». وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم مفارقة الجماعة –الواردة في هذا الحديث– بالإرتداد عن الدين، كما في رواية أخرى صحت عنه صلى الله عليه وسلم حيث قال: «لا يحل دم امرئٍ مسلم إلا في إحدى ثلاث: رجل زنى وهو محصن فرجم، أو رجل قتل نفسا بغير نفس، أو رجل ارتد بعد إسلامه».

ففسر مفارقته للجماعة بارتداده عن الدين بعد اسلامه، وفي هذا التفسير الجليل إبطال لتأويلات أهل الغلو الذين فسروا مفارقة الجماعة بالمفارقة لجماعتهم ولو إلى جماعة إسلامية أخرى!

وفي الحديث رد على الذين يوسعون دائرة القتل –بغير علم ولا دليل– تحت ذريعة عقوبة التعزير! وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يُجلد فوق عشر جلدات إلا في حدّ من حدود الله».

قال الترمذي في سننه: وقد اختلف أهل العلم في التعزير، وأحسن شيء يُروى في التعزير هذا الحديث ا.هـ. (1).

---

(1) التعزير حكم شرعي ليس له مرتبة واحدة، ومن أخذ بهذا الحديث من أهل العلم إنّما حمله على من أتى بعمل أدنى ممّا حدّ له الشارع حدًا مقدّرا وكان في معناه، وباب العقوبات بالتعزير له شروح طويلة لا يتّسع المقام لها. <المنهاج>.

فتأمل، إذا كان التعزير لا يجوز أن يتجاوز العشرة سياط بنص حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف تُراه يتجاوز عندك ليبلغ حد قطع الأعناق والأطراف، وسفك الدماء، وانتهاك الحرمات..؟! فأنى لك ذلك فاعلم أن المسلم على المسلم كله حرام دمه وماله وعرضه، وأن قتل النفس التي حرم الله بغير حق من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر التي توجب غضب الله ولعنته، وعذابه الأليم على صاحبها، قال تعالى: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) [النساء: 93].

وفي الحديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل: وما هن يا رسول الله: قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق..» وقال صلى الله عليه وسلم : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» و«المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم»، ومفهوم المخالفة يقتضي: أن الذي لا يأمنه المسلمون على أموالهم وأنفسهم، ولا يسلمون من شرّ لسانه ويده، فهو ليس بمؤمن.

وقال صلى الله عليه وسلم : «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه» وقال صلى الله عليه وسلم : «من حمل علينا السلاح فليس منا».

وقال صلى الله عليه وسلم : «لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا». وقال صلى الله عليه وسلم : «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمنا متعمداً»، وقال صلى الله عليه وسلم : «أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة»، وقال صلى الله عليه وسلم : «لا يزال العبد في فسحة من دينه مالم يصب دمًا حرامًا»، وقال صلى الله عليه وسلم : «من قتل رجلاً من أهل الذمة، لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عامًا»، وقال: «من قتل نفسا معاهدة بغير حلها، حرّم الله عليه الجنة أن يشم ريحها».

وقال صلى الله عليه وسلم : «إن الملائكة لتلعن أحدكم إذا أشار إلى أخيه بحديدة، وإن كان أخاه لأبيه وأمه»، وهذا إذا كان على وجه المزاح واللعب، فما بالك فيمن يشير جاداً بالمسدسات والرشاشات والقنابل، وغيرها من الأسلحة الفتاكة ليرعب المسلمين المؤمنين، لا شك أنه أولى باللعن، والوعيد، والطرد من رحمة الله.

وفي جميع ما تقدم من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية صحيحة، عبرة وعظة، ودعوة

توجب على كل من يحمل السلاح باسم الجهاد أن يتقي الله في نفسه، وسلاحه، وأمته ومن حوله من الناس الآمنين المسلمين..

وإذا كان من المقرر أن قتل المسلم الواحد بغير حق أعظم عند الله من زوال الدنيا كلها، فكيف تستسيغ لنفسك -وأنت مجاهد!- أن تزيل الدنيا كلها وأعظم منها بدون موجب شرعي يستحقه هؤلاء..؟!

فإن أردت أجر وثواب الجهاد، فاعلم أنه لا جهاد لمن لا يقيم شأنا للحكم الشرعي في عمله ومواقفه وخاصة في جهاده، وقد صح عن قائد المجاهدين، وإمام المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من آذى مؤمنا فلا جهاد له» [رواه أحمد وغيره، صحيح الجامع: 6378].

أخي.. فأنت تجاهد في سبيل الله لحماية الأمة من كفر الطواغيت وظلمهم، وللذود عن حرمات الناس وحقوقهم، ولتحقيق المقاصد الشرعية التي لأجلها أرسلت الرسل، وبُعث الأنبياء، وشرع الجهاد.. وليس لهتك الحرمات الآمنة، ونشر الرعب والفساد، وضياع حقوق العباد..

أخي المجاهد.. عليك برؤوس الكفر وأئمتهم من طواغيت الحكم والكفر الذين يجاهرون بالعداوة والمحاربة ضد الإسلام والمسلمين..

وإياك ثم إياك أن تشتغل بما اشتبه عليك أمره مع وجود المحكم الذي لا خلاف عليه، فإن إعمال القتل والسيف في رقاب أهل القبلة من العصاة هو من خُلُق الخوارج الغلاة، كلاب أهل النار، وكما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم : «بأنهم يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان».

فاحذر أن تتخلق بشيء من أخلاقهم وصفاتهم، أو أن تكثر سوادهم وظلمهم ولو في شطر كلمة واحدة..

فاتق الله -يا أخا الجهاد- ولا تسيء للجهاد والمجاهدين، واعلم أن قبل حملك للسلاح يتعين عليك أن تتعلم كيف تحمل السلاح، وفيمن تضع السلاح، ومتى ترمي بالسلاح، وأين تضع السلاح، وعمن تحجب السلاح.. فأنت كما أمرت أن تأخذ مناسكك عن النبي صلى الله عليه وسلم، مأمور كذلك أن تأخذ الجهاد والقتال وما يتعلق به من أحكام وفقه عنه

صلى الله عليه وسلم من دون أن تتجاوزه في شيء مهما قل ودق: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) [الحشر:7]. ودع عنك ما يقال لك عن أساطين الكفر والإلحاد، ماوتسي تونغ، وجيفارا، وكاسترو (1)... فإنهم طواغيت، ولن يأتوا إلا بالشر، ونعيذك من كل شر...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(1)- أعجب لأخ -نود له الخير- يقول في حديث له - وهو يشرح في أحد كتب حرب العصابات المعربة والمؤسلمة !! عن كاسترو: (... هذا الرجل نموذجا للقيادة الميدانية..(!!) يعني تخجل كثيرا من قيادات المسلمين..(!!) هذا الرجل كان يقاتل من جيش الحكومة النظامية خمسين ألفا، فلما أصبح عدد الجنود عنده مائة شخص.. مائة قسّمها على خمسين ألف، بيطلع 500/1 .. واحد لخمسمائة.. قال -أي كاسترو-: لما بلغ عدد الجنود عندي واحد مقابل خمسمائة، قلت أن جيوش العصابات أصبحت غير قابلة للهزيمة.. بينما تصور رب العالمين يقول: (الآن خفف الله عنكم وعلم أنَّ فيكم ضعفا إن يكن منكم مائة صابرةٌ يغلبوا مائتين)، يعني واحد لإثنين، واللي قبلها واحد لعشرة.. تصوّر هاد الكافر اعتبر حالو أنّو لما صاروا واحد مقابل خمسمائة، ما عاد قابلين للهزيمة.. طبعا الحكمة ضالة المؤمن.) انتهى الاقتباس من الشريط.

وفي حديث الأخ اطلاقات عديدة لا تقل خطورة ومجافاة للحق عن هذه، لا مجال لمناقشتها هنا.

ومفاد هذه المقارنة الخاطئة الجائرة من الأخ -هداه الله- أن جنود كاسترو أفضل، وأشجع، وأقوى في القتال من الصحابة - رضوان الله عليهم- الذين شهد الله لهم بأن الواحد منهم يقابل الإثنين من المشركين، بينما جنود كاسترو الأشاوس واحد منهم يقابل خمسمائة.. فتأمل!

ثم نسأل الأخ: هل خلت القيادات النموذجية من تاريخنا الإسلامي الحافل بالأبطال، حتى تلتجيء للحديث عن هذا الملحد النجس، وتستشهد به..؟!!

أبمثل هذا النجس تعبأ معنويات المجاهدين..؟!!

المقال

بقلم الأستاذ/ أبي عادل الحموي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد،

كثر الكتاب، وكثرت المقالات في هذه الأيام، وتعددت الأفكار والمناهج، وصار لكل منهج بل ولكل جماعة الكبيرة أو صغيرة كتّاب ومفكرون يكتبون لهم ما يطلبون. وتفنن الكتّاب في كتابة المقالات وتفرعوا تفرع أصحاب القرار في بلاد المسلمين فتجد بعضهم يكتبون دفاعا عن العلمانية ومحاسنها -إن كان لها محاسن- وما جلبته على الناس من خير وغير حسب زعمهم، والبعض الآخر يكتب دفاعًا عن النظام الجمهوري والآخر عن الوراثي الملكي وآخر عن القومي... وهكذا إلى آخر هذه القائمة، وأغدق عليهم حراس هذا النظام أو ذاك ما يطلبه الكتاب من مال أو جاه أو منصب أو وساطات أو غيره.

وقلّ وندر من يكتب دفاعًا عن الإسلام ودفاعا عن الدين من تلك السهام المسمومة، ومن كتب عن الإسلام فإنه إما كتب بقلم ضعيف أو حجة واهية، أو أنه يكتب بشكل لا يستطيع توصيل ما يريد قوله للقارئ، وإما كتب عن إسلام يرضاه الطواغيت لإرضاء جهة أو أخرى، حتى أصبح الإسلام كلأً لكل سائمة ولم يعد للإسلام حماة يحمونه من هؤلاء الأقزام.

فإلى كل مسلم غيور على دينه يريد أن يكتب بصدق ويريد أن يتقدم إلى المسلمين ببحث أو مقالة صادقة تنفعهم في دينهم وآخرتهم نقدم لهم هذه الكلمات علّها تضعهم على

أول الطريق الصحيح في الكتابة ليستفيد المسلمون مما يريدون قوله أو كتابته فإن هدف المسلم دائما هو إرضاء الله سبحانه وتعالى فيما يكتب ويقول ويعمل وينوي.

والكلمة مسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة يُسأل عنها المرء ويحاسب عليها، فقد ثبت في موطأ مالك ومسند الإمام أحمد ومسند الترمذي والنسائي وابن ماجه وصححه الحاكم من حديث بلال بن الحارث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة».

بل زاد الأمر على ذلك، ولم ينضبط الناس بما وضعه الله من ضوابط فأصبحوا يتكلمون بما لا يرون به بأسًا ومع ذلك فإن هذا يؤدي بهم إلى سخط الله عز وجل، فقد روى الترمذي وابن ماجه والحاكم بسند صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوي بها سبعين خريفًا في النار».

شروط المقال:

ولا بد لقبول المقالة عند الله تعالى من شرطين هما شرطا قبول العمل:

- أن تكون النية من وراء ذلك هو إرضاء الله سبحانه وتعالى.
- وأن تكون موافقة لكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تعريف المقال:

هو عبارة عن بحث مختصر يقوم به الباحث بجمع الحقائق والدراسات حول موضوع معين للتوصل إلى نتائج محددة..

صفات كاتب المقال:

هناك صفات عامة يجب أن يتحلى بها صاحب المقال سوى ما سبق من النية والإخلاص والمتابعة نوجزها فيما يلي:

1- الأمانة في ما ينقله عن الآخرين من نص أو فكرة سواء قرأها في كتاب أو سمعها في محاضرة فإن حق الإبتكار محفوظ لصاحبه في الشريعة، والأمانة تقتضي نسبة ما

ينقله الكاتب إلى الكتاب الذي نقل منه.

2- التجرد: فإن طالب العلم إذا أراد أن يكتب في مسألة أو يبحثها فينبغي له أن لا يتعصب لرأي شيخ أو عالم مع الإعتراف بفضلهم واحترامهم ولكنهم لا يخرجون عن كونهم بشرًا ولهم اجتهاداتهم فمن أراد البحث أو كتابة المقالة فعليه التجرد والإنضباط بالأدلة الشرعية الأقوى المضبوطة بالكتاب والسنة وفهم السلف الكرام.

3- العدل: يقول الله تبارك وتعالى: (ولا يجرمنكم شنئآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) فإن العدل مطلوب من عموم البشر ولكنه من كاتب المقال مطلوب أكثر خاصة مع الخصوم بالإعتراف بما عندهم من حق إذا كان ذلك موجودا ولا يعني هذا الإعتراف بما ليس عندهم أو التنازل عن الحق، بل عليه الرجوع إلى ما عليه الخصوم من الحق خاصة إذا كان ما عندهم مدعوما بالأدلة الشرعية، فإذا جاء أحد بأدلة شرعية تفوق الأدلة التي نحتج بها فإن الأخذ بالأقوى هو طريق طلبة العلم ومنهم كاتب المقال أو الباحث وأعناقنا تلويها النصوص ولسنا ممن يلوي أعناق النصوص لخدمة آرائنا البشرية..

فإذا تحلّى طالب العلم وكاتب المقال بهذه الصفات وبحث بتجرد، وتخلّق بأخلاق طلبة العلم من آداب وصفات، وصبر وتابع بحثه فإنه ولا شك سيصل إلى نتائج يخدم بها المسلمين.

مصادر كاتب المقالة:

لا بد لكاتب المقالة أن يجمع مادة البحث من كتب تمده بالمعلومات المتعلقة بما يريد كتابته، وأساس مصادرنا في الشريعة الإسلامية الكتاب والسنة بضوابط فهم السلف لهذين المصدرين، وكلما كان اعتماد الكاتب على المراجع المتقدمة كان ذلك أفضل وأكمل للبحث والمقال.

ولكن الكاتب كذلك لا يستغني عما يدور حوله ويكتب باطلاعاته العامة وقراءاته المستمرة، وكلما تعددت المصادر والنقول كان ذلك أوسع له في إلمامه بما يريد كتابته فإذا استطاع في نهاية المقال -وسنأتي على ذلك في الخاتمة- أن يقرر ما توصل إليه من نتائج في بحثه أو مقاله وتوجيه النصيحة لعامة المسلمين وطلاب العلم فإن ذلك سيكون فيه الفائدة المرجوة من المقالة.

وإذا عجزت مكتبة الباحث الخاصة عن الإلمام بالبحث من كل جوانبه -وهذا غالبًا-

فإنه لا بد له من مراجعة المكتبات العامة لحصوله على أكبر قدر من المعلومات ولمراجعته أكبر عدد ممكن من المراجع بتأن وتمحيص ودقة ودراسة عميقة واسعة.

اختيار الموضوع: لا بد للباحث أن لا يضيع وقته فيما لا يفيد المسلمين، خاصة في هذه الأوقات الحرجة.

وينبغي أن يتبادر إلى ذهن الكاتب أول ما يتبادر الدافع لكتابة هذا الموضوع وماذا سيستفيد منه المسلمون في حياتهم العملية سواء الدينية أو الدنيوية.

وطالب العلم يعيش واقع المسلمين ولا يهرب منه بل يكتب ما يمس المسلمين في حياتهم التي يعيشونها..

فإذا استقر الكاتب على موضوع وقرر تناوله وبحثه والكتابة فيه فليستخر الله تعالى، وليطلب منه العون بدعائه سبحانه، وليرتب خطواته وليسر على بركة الله.

وليرتب مصادر بحثه وليتحلى بالصبر في قراءة المراجع ولا يستعجل النتائج، وليكثر من ذكر الله تعالى والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليحترم من سبقه من العلماء والأئمة الكرام الذين كانت لهم اجتهاداتهم التي يؤجرون عليها بإذن الله.

وليلجأ إلى الله بالدعاء كلما وقفت في وجهه مسألة وليسأله سبحانه أن يفتح عليه بها.

وليبدأ في مقدمة مقاله باسم الله تعالى وليصلّ على رسوله صلى الله عليه وسلم وليدعُ لإخوانه الذين سبقوه بالإيمان.

الخاتمة: وفيها يوضح نتائج مقاله على ضوء ما ساقه من الأدلة والنصوص ولا حرج من ذكر الأمور التي لم يستطع التوصل إليها، وليقدم النصيحة للمسلمين وليوضح لهم الطريق الذي سلكه، وأنه يتبع الحق في خطواته، وأنه يحترم الأدلة الشرعية، فإذا تبين له في أي وقت أن الأدلة الشرعية مع الرأي الآخر فإنه سيكون مع الدليل وسيدور معه حيثما دار.

ولا بد أن يلتزم كاتب المقال بالعمل بما توصل إليه من نتائج فإن القول يجب أن يتبعه العمل وإلاّ فإنه سيُسأل عنه يوم القيامة أمام الله عز وجل، وربما يكون كاتبها جسرا يُنصب ليعبر الناس عليه إلى الجنة ثم يؤخذ ويلقى في النار.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للخير والحمد لله رب العالمين. ■

الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي (الأخيرة)

بقلم الأستاذ : محمّد طه الطّرابلسيّ

الطبقات الإجتماعية وقاعدة الأنظمة الحاكمة

عادة ما تتحالف القمة الحاكمة مع كبار أغنياء البلد حيث يشكلون شراكة تجارية يلعبون من خلالها دور الوسيط التجاري بين السوق الداخلية الاستهلاكية ومراكز الإنتاج في الدول الكبرى مما يؤدي إلى الإثراء الفاحش والسريع لهذه الطبقة على حساب المستهلك. ويُوظّف في البلاد الإسلامية قسم ضئيل من هذه الأرباح الهائلة في مشاريع اقتصادية غير ذات قيمة، وقسم آخر يوظف في إنشاء ما يسمى المصارف الوطنية لنشر الربا وتدمير الإقتصاد. أما القسم الأكبر من الأرباح عادة ما يوضع في المصارف الأجنبية أو يوظف في الدول الصليبية نفسها ليزيد من سطوة أعداء الإسلام وتنمية اقتصادهم، بينما يرزح تحت عبء الفقر والبطالة أكثر من 70٪ من الشعوب الإسلامية.

إن سياسة الإفقار وعدم السماح بتطوير اقتصاد المجتمعات الإسلامية الضعيف والراكد والذي تقوم بتنفيذها الأنظمة العميلة في الدول الإسلامية، يدخل ضمن خطة الحرب غير المعلنة على الإسلام وشعوبه من قبل دول الصليب التي تدعم اقتصادها بسرقة المواد الخام من بلادنا وتعيد تصنيعها وتصديرها مرة أخرى إلينا وبأسعار فاحشة، إنها

سياسة النهب والإفقار لشعوبنا لتركيعها وتذليلها واستعبادها تمهيدا للعودة لإستيطان بلادنا وتصفية وجودنا كمسلمين على المدى البعيد.. وهذا ليس بغريب على أهداف سياسة دول الصليب نظرا لتاريخها الحافل بالحروب والمذابح والمؤامرات لإستئصال الإسلام والظفر ببلاد المسلمين وهذا ما يثبته علم تاريخ الصراع الصليبي ضد الإسلام بلا جدال.

إن هذه الأنظمة الطفيلية الحاكمة في العالم الإسلامي ما هي إلا وسيلة وأداة بيد هذا العدو الصليبي الحقود، تتوافق مصالح قادتها والطبقات الإجتماعية المتحالفة مع مصالح أعداء الإسلام. ولذلك على الحركات الجهادية دراسة وتحديد ورصد هذه الطبقة الإجتماعية بأشخاصها وأنواع علاقاتها واستثماراتها والشركات الأمريكية والأوروبية التي تمثلها لتدمير وجودها عسكريا على أراضينا وبشكل خاص شركات النفط والمعادن التي تسرق ثرواتنا التي منحنا الله تعالى إياها لنتقوى على أعدائنا ونعد لهم تمهيدا للنصر بإذنه عز وجل.

إنّ شنّ حملة تدميرمنظّمة لسحق هذا الوجود الإقتصادي الصّليبي بكافّة أشكاله من شركات توزيع للبضائع الأجنبيّة وكلّ توابع وجودها سيقضي على منابع تمويل عدوّنا الصّليبي واليهودي وكذلك الأنظمة العميلة ممّا يضعفها ويفقدها قيمتها أمام أسيادها اليهود والنّصارى، الذين ربّما فكّروا في تغيير بعض رموزها ممّا يؤدّي إلى وجود اضطراب في النّظام الإقتصادي والسّياسي الذي أقاموه، حتّى يتيسّر القضاء عليه نهائيًا مع تظافر عامل الزّمن بإذن الله بهدف بناء دولة الإسلام، دولة الخلافة الإسلاميّة.

التأثيرات الإجتماعية للطبقة الحاكمة والدولة

إن الدور التخريبي الذي تقوم به هذه الطبقة المستفيدة من بؤس المسلمين هو سلبي وخطير جدا على بنية مجتمعاتنا التي لا تزال تحافظ على التقاليد الإسلامية، فبحكم ارتباط وتعامل هذه الطبقة المكونة من قمة الحكم وكبار أغنياء البلد بالغرب الصليبي، فهي تحاكيهم وتتبعهم في معظم مجالات الحياة وتتبنى بذلك نقل ثقافتهم ولغتهم وأسلوب حياتهم وعاداتهم الإجتماعية كاختلاط الرجال بالنساء، ونشر الفساد الجنسي باعتباره تطورا وتقدما، وتحديد النسل بحجة تنظيم الأسرة الحديثة على النمط الغربي، وشرب الخمر واستعمال المخدرات المهيجة كالكوكاين، والإحتفال بأعياد رأس السنة الميلادية وأعياد الميلاد الخاصة، واحتقار التراث الإسلامي واعتباره تخلفا، ومتابعة صرخات

الموضة في الملابس.. الخ من مظاهر انحلال الحضارة الغربية. وعادة ما تتأثر بعض فئات المجتمع ذات الفهم السطحي للإسلام بهذه الطبقة الفاسدة كونها تحتل مركز القيادة في المجتمع مما يزيد في غربة الإسلام داخل وطنه وبين أهله.

سلاح الإعلام في خدمة الأنظمة الحاكمة

علينا أن نعترف بانتشار ظاهرة الجهل وعدم الوعي الديني لدى عامة الشعوب المسلمة وذلك نتيجة المرحلة الزمنية الطويلة من الغزو الفكري الصليبي اليهودي المشترك من حركات تنصيرية مكثفة ومتتابعة، وكذلك حركة المستشرقين ذات الأصول الدينية الصليبية العدوة والتي تجرأت على نقد مقدسات الإسلام وتزييف تاريخه ونشر الفكر القومي والشيوعي والفكر الديمقراطي والإشتراكي.

ولكن من أهم أسباب الجهل وعدم الوعي السياسي ابتعاد الشعوب المسلمة عن دينها الإسلام الذي بنى كيانها المستقل والمتميز عن باقي شعوب العالم... هذا الدين الذي هو منبع قوتها وعزتها على مر العصور.

إن حالة الجهل هذه وعدم الوعي الديني تشكل اليوم خطورة جدية على مستقبل العالم الإسلامي في مرحلة يواجه فيها صراعا دينيا مع دول الصليب المتحدة مع قوى اليهود المتفوقة من الناحية المادية عسكريا وصناعيا وزراعيا وتجاريا..الخ.

كما أن الإنبهار بحضارة الغرب وفقدان الثقة بالنفس لدى العامة وعدم القدرة على التمييز بين الإيجابي من مقومات هذه الحضارة المعادية للإسلام والمتوافق مع ديننا القيم من تقدم العلوم والصناعة والزراعة..الخ، والجانب السلبي من عادات اجتماعية منحلة، ودينية وثنية وثقافية تستبيح المحرمات باسم الحداثة والتطور والرقي.

من خلال هذا الوضع السلبي للشعوب الإسلامية التي لا تتحرك لصنع حاضرها ومستقبلها وغياب وعيها الديني والسياسي، تلعب مؤسسة الإعلام في الدول الحاكمة في العالم الإسلامي دورا خطيرا في التضليل السياسي والديني والدعاية الكاذبة والخداع ونقل وترسيخ قيم العدو الصليبي عبر وسائل الإعلام المعروفة من صحافة ودور نشر وتلفزيون وراديو وسينما ونعطي مثالا على ذلك: المسلسلات التلفزيونية والأفلام السينمائية المصرية لغزارة إنتاجها... والتي تعتبر رائدة في محاربة القيم الإسلامية ونشر سموم النصارى واليهود منذ أكثر من نصف قرن في العالم العربي وبالتالي السيطرة على عقول

العامة غير الواعية وهم الأغلبية الساحقة من الشعوب الإسلامية.

يعتبر كوادر المؤسسة الإعلامية من أخطر أعداء الإسلام وشعوبه وخصوصا كوادر الصحافة الذين يجب تصفيتهم بشتى الوسائل وبلا هوادة، لأنهم السلاح الخطير الذي بيد هذه الأنظمة يضعفون عقول الجماهير المسلمة ويفقدونها القدرة على الإدراك والوعي الذي يكون نزعة المجابهة والتحدي، ويسحرون عقولها بالشعارات الجوفاء والمواضيع الفارغة البعيدة عن واقعها الحياتي ومستقبلها الذي يكتنفه الخطر.. إنهم أداة التخدير والتنويم لهذه الشعوب المستعبدة.

التجمعات والأحزاب العلمانية

وتشكل قاعدة مهمة لدعم هذه الأنظمة وتضليل الرأي العام الإسلامي تحت شعاراتها البراقة المزيفة المستوردة من الغرب، مثل الديمقراطية والبرلمانات والإنتخابات وحقوق العمال والفلاحين وتطوير الدخل القومي والزراعة وبناء دولة القانون وحقوق الإنسان.. الخ من أساليب الكذب السياسي والخداع. المهم تضليل الشعوب الإسلامية عن العودة إلى الحل الجذري لكل مشاكلها ألا وهو الجهاد لبناء دولة الإسلام التي كانت قائمة أيام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وبني أمية والعباس والمرابطين والموحدين ودولة الخلافة الإسلامية، لأن العودة إلى بناء الدولة الإسلامية يعني بالنسبة للغرب العودة إلى عزة الإسلام والوقوف في وجه طموحاته وأطماعه. كما يساهم في دعم هذه الدول نشاط الأدباء والصحفيين الملاحدة والأقليات الدينية الصليبية والطوائف المرتدة عن الإسلام.

لقد انتشرت الفئات العلمانية في المواقع الحساسة وخاصة في الأوساط التعليمية والإعلامية لتشويه فكر أطفالنا وأبنائنا، كما انتشرت في الأوساط العسكرية والإقتصادية وقيادات النقابات الفلاحية والعمالية والأطباء والمهندسين. تدافع هذه الفئة وتنشر الفكر الغربي الماسوني وتتبنى نشر سمومها وتعتبر الإسلام حجر عقبة في تطبيق تجربة العالم الغربي الإقتصادية والإجتماعية والثقافية والعلمية وتنصّب نفسها مدافعا عن حقوق المرأة وترفض الشرع الإسلامي الخاص بقضية الحجاب وعمل المرأة أو ما يسمى بالتحرر الجنسي.. الخ لضرب آخر ما تبقى للمسلمين وهو لحمة العائلة المسلمة التي تشكل الخلية المهمة في المجتمع والتي تحافظ وتحمي التقاليد الإسلامية وتعد الأبناء الذين سيعيدون

دولة الإسلام من جديد ولو بعد زمن.

إن الحل في رأي هؤلاء العلمانيين الماسونيين إبعاد الدين الإسلامي حتى من حياتنا اليومية الإجتماعية لأنه مبعد تماما من الدولة ويروّجون بأن إلغاؤه يغني عالمنا المتخلف بثمرات العلوم الغربية وتطور علاقاتها الإقتصادية والإجتماعية المنحلة ناسين أو متناسين بأن هذه الدول كما ذكرنا في السابق ما هي إلا تعبير عن مجتمعاتها ذات الطابع الديني النصراني التي تكونت عبر مئات السنين، وأن الكنيسة، ككل المؤسسات الدينية قادت أوروبا ولا تزال تلعب دورا مؤثرا في سياسة هذه الدول وحياة هذه المجتمعات وبشكل خاص بعلاقاتها مع العالم الإسلامي. إن من أهم عوامل ما يعرف بعصر النهضة الأوروبية والتقدم الصناعي والإكتشافات الجغرافية والبحرية والعسكرية كان بفضل الحافز الديني الصليبي لنشر التنصير بقوة البارود والمذابح الجماعية.

نعم لقد كان الدين النصراني حافزا ولا يزال للدول الصليبية الحديثة وخاصة بعد سقوط منظومة الدول الشيوعية التي عادت هي وشعوبها إلى تراثها الديني النصراني، وبدأت بذبح مسلمي البوسنة والهرسك والشيشان، والمستقبل قادم بمزيد من الذبح لشعوب الإسلام إن هي لم تعتبر وتعود لدينها وللأمر الرباني الداعي للجهاد.

ثم منذ متى كان الإسلام عقبة في وجه ازدهار الحضارات والعلوم، إن واقع التاريخ الإسلامي المنير يبطل هذا التزوير الوقح الذي تروّج له هذه الفئة العميلة المرتدة عن قناعة أو خيانة أو عن غباء وغرور وانبهار بعالم الغرب وعدم وعي حقائق وجذور الأمور. المهم على الحركات الجهادية أن تعي دور هؤلاء العملاء العلمانيين والقضاء عليهم بكافة الوسائل لأنهم قاعدة فكرية خطيرة لدول الصليب والماسونية والأنظمة المرتدة.

دور المصارف اليهودية والصليبية

نقدم هذه المصارف الأموال على شكل قروض على أساس نظام الربا بحجة المساعدة على إقامة المشاريع الإقتصادية في العالم الإسلامي، وهي طريقة لتمويل الأنظمة في شتى المجالات، وتتراكم الفوائد (الربا) بحيث تفوق القرض بحد ذاته بعشرات المرات مع مرور الوقت، ويحدث العجز عن تسديدها. وتصبح مع الوقت وسيلة لتمرير القرارات السياسية وفرضها، ونهب ثروات البلد.. كما يسمح لهذه المصارف بالنشاط الربوي داخل المجتمعات الإسلامية حيث يصبح الجميع في النهاية مدينين لهذه المصارف ويعملون من أجلها

كالعبيد لتسديد القروض وفوائدها .

بعض الممارسات العامة للأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي

1 - تحقيق إرادة دول الصليب واليهود الدينية في سياستها الداخلية والخارجية المعادية للإسلام والمسلمين، ودعم سياسة التنصير الصليبية وتقديم التسهيلات للمنصّرين وبناء الكنائس والمراكز الدينية الأخرى لمحاربة الإسلام.

2- تبني العلمانية وفصل الدين الإسلامي عن الدولة وإلغاء العمل بقوانين الشرع الإسلامي واتخاذ القوانين الصليبية.

3- نهج سياسة الإرهاب العسكري المنظم (سياسة إرهاب الدولة) في حكم الشعوب الإسلامية المستضعفة العزلاء من السلاح ونهج سياسة الإستعباد والإفقار والتجويع المخطط.

4- إعداد مناهج التعليم المدرسي والجامعي من قبل لجان صليبية يهودية وتزوير التاريخ الإسلامي.

5- إقامة المدارس والجامعات المختلطة ونشر الإنحلال الجنسي الذي يعاني منه العالم النصراني بسلسلة من الأمراض الإجتماعية والطبية.

6- التآمر على نهب ثروات الشعوب الإسلامية وإعطائها للدول والشركات النصرانية.

7- تخريب وحدة العائلة الإسلامية.

8- إجبار المرأة المسلمة على خلع الحجاب واللّباس الإسلامي المحتشم وخاصة في مؤسسات العمل التابعة للدولة.

9- محاربة الإنجاب بشتى الوسائل لعرقلة تجديد الأمة الإسلامية وإكثار عددها تحت شعار تنظيم الأسرة، وتساند هذه الحملة منظمة الأمم المتحدة الصليبية اليهودية مع العلم أن عدد سكان أوروبا الغربية فقط يتجاوز الـ 800 مليون نسمة، بينما بالمقابل لا يصل عدد سكان تركيا والعالم العربي إلى أكثر من 300 مليون نسمة فقط. وتمارس هذه الأنظمة سياسة الإفقار الغذائي وسياسة انعدام وتدني مستوى العناية الصحية لتحقيق محاربة الإنجاب وتحديد عدد السكان.

10- انتهاج سياسة تخريبية في تدمير الأمن الغذائي للشعوب الإسلامية وذلك بإفساد الزراعة والصناعة الزراعية.

11- إقامة المصارف اليهودية والصليبية والمحلية، ونشر الربا في المجتمعات الإسلامية ومنع الزكاة كركن من أركان الإسلام حتى لا يتقوى المسلمون ولا يتكافلوا.

12- إقامة أماكن الدعارة والقمار واستيراد الخمور من الدول الصليبية بملايين الدولارات سنويا.

13- تشجيع تنامي ظاهرة اللصوصية والدعارة والقوادة والرشوة وكل أصناف الحثالة في المجتمع بواسطة ميوعة القوانين الغربية المستوردة تحت شعار حقوق الإنسان.

14- إغلاق المساجد في خارج أوقات الصلاة ومنع الدروس الدينية إلا بإذن خاص من دوائر الأمن كما يحدث في المغرب والجزائر ومصر وتونس... الخ.

15- محاربة رجال العلم المخلصين وتصفيتهم أو إرهابهم ومنعهم من نشر الدين الصحيح وتحويل خطبة الجمعة إلى منبر للدعاية للحكام الكفرة وإلغاء دور هذه الخطبة الحقيقي في توجيه المسلمين وتنبيههم إلى الأخطار المحدقة بهم من أعدائهم الداخليين والخارجيين.

16- تفريغ الدين الإسلامي من جوهره كنهج وطريقة حياة و -حصره في العبادات- وإلغاء الجهاد ضد الظلم واعتبار المجاهدين الذين يقاتلون في سبيل إعلاء كلمة الله وشرعه إرهابيين يجب تصفيتهم تماما كما يفكر اليهود والنصارى.

17- التآمر مع العدو اليهودي والصليبي على التخلي عن الأراضي المقدسة في فلسطين والجولان وجنوب لبنان والجزيرة العربية وأراضي أخرى مثل مدينة سبتة ومليلية في المغرب والبوسنة والهرسك وناكرنو كاراباخ في أذربيجان..الخ.

18- إقامة النوادي الثقافية اليهودية الماسونية تحت أسماء مختلفة مثل بيوت الشباب العالمية -أنصار السلام- وكل التنظيمات الثقافية على النمط الغربي.

19- الإحتفال بأعياد النصارى مثل عيد رأس السنة الميلادية وإلغاء العطلة الأسبوعية الاسلامية يوم الجمعة واستبدالها بيوم الأحد كما يحدثُ في المغرب وتونس وتركيا... الخ.

20- افتعال التوترات السياسية والعسكرية فيما بينها لتدعم الإقليمية والحدود التي رسمها المحتلون الصليبيون وتدعيم الفرقة والتمزق لدى المسلمين وهدر طاقاتهم وعدم السماح بتبادل النشاط الإقتصادي والديني والثقافي فيما بينهم.

(انتهى)

والحمد لله رب العالمين

قراءة تحليليّة لخلافة
عبد الله بن الزّبير رضي الله عنه (2-2)

الأستاذ حسام يوسف المصري

بعد أن ردّ الأستاذ على بعض ما وجّهه الخصوم إلى الصّحابي عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، يواصل في هذا المقال - وهو الثاني والأخير- ردّ بقيّة التّهم، وجلية حقيقة خلافته وشخصيته رضي الله عنه..

رابعا: قولهم: «عجزه عن استمالة الخوارج والمختار الثقفي إلى صفه»:

أما الخوارج: فقد تباكى د. شحاتة الناطور على ابن الزبير لعدم استمالته الخوارج بسبب خلافه معهم في بعض الأصول الكلامية!! :«عرفنا أن الخوارج قاتلوا معه جيش الشام في عهد يزيد، ولكنه اختلف معهم في بعض الأصول الكلامية، لو استطاع التمكن من الاحتفاظ بهم إلى جانبه لما احتاج أن يضيع قسماً من جنده في قتالهم (..) كما أنه لكسب بهم قوة لا بأس بها كيف لا وهم رجال مقاتلون من الدرجة الأولى كان باستطاعتهم أن يشدوا أزره ضد خصومه» (1).

---

(1) عبدالله بن الزبير والإنتفاضة ـ الناطور ـ ص181.

فمن هم الخوارج الذين يتباكى عليهم هؤلاء الكتاب؟! إنهم الأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق، وكان من أكبر فقهائهم ولم تكن من الخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولاأشد شوكة من الأزارقة.

وقبل أن نعرف لماذا رفضوا الإنضمام تحت لواء عبدالله بن الزبير رضي الله عنه ومبايعته، نسوق على عجالة:

موجز اعتقاد الأزارقة:

* لقد كفّر نافع بن الأزرق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجميع الصحابة الذين كانوا معه أوضده.

* يعتبر نافع وأصحابه علي وعثمان ومعاوية والزبير وطلحة وجميع الصحابة ومن والاهم مثل كفار العرب وعبدة الأوثان، لا تُؤكل نبائحهم ولا يُصلَّى خلفهم أو معهم ولا يُتزوج من نسائهم.

* يعتقد أن بلاد مخالفيه دار حرب.

* أحل قتل أطفال المسلمين ونسائهم لأنهم كان يعتقد أن أطفال مخالفيه مشركون ومخلدون في النار.

* كان نافع يستحل الغدر بمن خالفه، لذلك كان يقتل الأسير ويغدر بمن طلب الأمان.

* كان يكفر القعدة الذين كانوا على رأيه (أي من أصحابه) عن القتال مع قدرتهم عليه، أو عن الهجرة إليهم. لذلك كان يوجب امتحان من ينضم إليهم بأن يطلب منه أن يقتل أحد الأسرى، فإن رفض قَتَلَه!!

* كان نافع يكفر مرتكب الكبيرة ويرى أنه مخلد في النار.

* أسقط حد الرجم عن الزاني المحصن لأنه لم يرد نص عليه في القرآن.

* كان يرى نافع قطع يد السارق في القليل والكثير.

هذه أهم معتقدات الخوارج الأزارقة.. ولمن أراد المزيد فليراجعها في مظانها.

سبب رفض الخوارج مبايعة ابن الزبير رضي الله عنه:

نذكر النص الذي استشهد به كثير من الكتاب للاستدلال على قصر نظر ابن الزبير سياسياً كما زعموا: «فمضى نافع وأصحابه من الحرورية قبل الإختلاف إلى مكة ليمنعوا

الحرم من جيش مسلم بن عقبة، فلما صاروا إلى ابن الزبير عرفوه أنفسهم (..) ثم تناظروا فيما بينهم فقالوا: ندخل إلى هذا الرجل ـ يعني ابن الزبير ـ فننظر ما عنده فإن قدّم أبابكر وعمر وبرئ من عثمان وعليّ وكفّر أباه وطلحة بايعناه، وإن تكن الأخرى ظهر لنا ما عنده فتشاغلنا بما يُجدي علينا. فدخلوا على ابن الزبير(..) فقالوا: إنّا جئناك لتخبرنا رأيك فإن كنت على الصواب بايعناك، وإن كنت على غيره دعوناك إلى الحق، ماتقول في الشيخين؟ قال: خيراً، قالوا: فما تقول في عثمان الذي أحمىَ الحمى وآوى الطريد وأظهر لأهل مصر شيئاً، وكتب بخلافه، وأوطأ آل أبي مُعَيْطٍ رقاب الناس وآثرهم بفئ المسلمين. وفي الذي بعده (أي علي رضي الله عنه) الذي حكم في دين الله الرجال وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم. وفي أبيك وصاحبه (أي طلحة رضي الله عنه) وقد بايعا علياً، وهو إمام عادلٌ مرضي لم يظهر منه كفر ثم نكثا بعرض من أعراض الدنيا، وأخرجا عائشة تقاتل، وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن في بيوتهنّ وكان لك في ذلك ما يدعوك إلى التوبة؟ فإن أنت قلتَ كما نقول فلك الزُلفةُ عند الله والنصرُ على أيدينا ونسأل الله لك التوفيق، وإن أبيتَ إلا نَصْرَ رأيك الأول وتصويبَ أبيك وصاحبه والتحقيق بعثمان والتولّي في السنين الست التي أحلّت دمه ونقضت وأفسدتْ إمامته، خذلك اللهَ وانتصر منك بأيدينا» (2).

فماذا كان رد أمير المؤمنين ابن الزبير على هذه الأسئلة الإستفزازية؟

«فقال ابن الزبير: إنّ الله أمر وله العزةُ والقدرة في مخاطبة أكفرِ الكافرين، وأعتى العُتاة بأرأف من هذا القولَ؟ فقال لموسى ولأخيه صلى الله عليهما في فرعون: (فقولا له قولاً ليناً لعلّه يتذكر أو يخشى) وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لاتؤذوا الأحياء بسبِّ الموتى، فنهى عن سب أبي جهل من أجل عكرمة ابنه. وأبوجهل عدوّالله وعدوالرسول، والمقيم على الشرك والجادُّ في المحاربة والمُتَبَغِّضُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل الهجرة والمحارب له بعدها وكفى بالشرك ذنباً، وقد كان يُغنيكم عن هذا القول الذي سميتم فيه طلحة وأبي أن تقولوا أتَبْرأ من الظالمين فإن كانا منهم دَخلا في غُمار الناس(أي في جمعهم)، وإن لم يكونا منهم لم تُحفظوني بسبِّ أبي وصاحبه، وأنتم تعلمون أنّ الله جل وعز قال للمؤمن في أبويه: (وإن جاهداك على أن تشركَ بي ماليس لك به علم

(2) الكامل في اللغة والأدب ـ لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي ـ ص 222،221.

فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً) وقال جل ثناؤه: (وقولوا للناس حُسنا) وهذا الذي دعوتم إليه أمر له ما بعده. وليس يقنعكم إلا التوقف والتصريح، ولَعمري إن ذلك لأحرى بقطع الحجج وأوضح لمنهاج الحق وأولى بأن يَعرف كلٌّ صاحبه من عدوه. فروحوا إليَّ من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه إن شاء الله. فلما كان العشي راحوا إليه فخرج إليهم وقد لبس سلاحه. فلمّا رأى ذلك نَجْدَة (ابن عامر الخارجي) قال: هذا خروج منابذ لكم، فجلس على رَفْع من الأرض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلّى الله عليه وسلّم ثم ذكر أبابكر وعمر أحسن ذكر، ثم ذكر عثمان في السنين الأوائل من خلافته، ثم وصلهنّ بالسنين التي أنكروا سيرته فيها فجعلها كالماضية (..) وذكر الحمى وماكان فيه من الصلاح وأن القوم استعتبوه (طلبوا الرجوع عما فعل) من أمور، وكان له أن يفعلها أولامصيباً ثم أعتبهم بعدُ محسناً. ثم كتب لهم ذلك الكتاب بقتلهم فدفعوا الكتاب إليه فحلف أنه لم يكتبه ولم يأمر به، وقد أُمر بقبول اليمين ممن ليس له مثلُ سابقته مع ما اجتمع له من صهر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومكانه من الإمامة، وأن بيعة الرضوان تحت الشجرة إنما كانت بسببه. وعثمان الرجل الذي لزمته يمينٌ لو حلف عليها لحلف على حق فافتداها بمائة ألف، ولم يحلف، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض". فعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه، وأنا وليُّ وليّه وعدوُّ عدوِّه، وأبي وصاحبه صاحبا رسول الله ورسول الله يقول عن الله تعالى يوم أُحد لما قطعت اصبع طلحة: سبقته إلى الجنة، وقال: أوجَبَ طلحة.. وكان الصديق إذا ذُكر يوم أحد قال: ذاك يوم كله أوجلّه لطلحة، والزبير حواريُّ رسول الله وصفوته. وقد ذكر أنهما في الجنة، وقال عز وجل: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) وما أخبرنا بعدُ أنه سخط عليهم. فإن يكن ما سعوا فيه حقاً فأهل ذلك هم. وإن يكن زلّةً ففي عفوالله تمحيصهما، وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم صلّى الله عليه وسلّم. ومهما ذكرتموهما به فقد بدأتم بأمكم عائشة رضي الله عنها فإن أبى آبٍ أن تكون له أماً نبذ اسم الإيمان عنه. قال الله جل ذكره وقوله الحق: (النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم). فنظر بعضهم إلى بعض ثم انصرفوا» (3).

وفي رواية الطبري: «قال: فحمد اللهَ ابن الزبير وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فقد فهمت الذي ذكرتم وذكرت به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كما قلت صلى الله عليه وسلم وفوق

(3) الكامل في اللغة ـ ص223،224.

ما وصفته، وفهمت الذي ذكرتَ به عثمان بن عفان رحمة الله عليه، وإني لا أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم أعلم بابن عفان وأمره مني، كنت معه حيث نقم القوم عليه، واستعتبوه فلم يَدعْ شيئاً استعتبه القوم فيه إلا أعتبهم منه. ثم إنهم رجعوا إليه بكتاب له يزعمون أنه كتبه فيهم، يأمره فيه بقتلهم فقال لهم: ماكتبتهُ، فإن شئتم فهاتوا ببينة.. ولا استحلفوه ووثبوا عليه فقتلوه، وقد سمعت ما عبتّه به، فليس كذلك، بل هو لكل خير أهل، وأنا أشهدكم ومن حضر أني وليٌّ لابن عفان في الدنيا والآخرة، وولي أوليائه، وعدوٌ أعدائه، قالوا: فبرئ اللهُ منك ياعدو الله؛ قال: فبرئ اللهُ منكم ياأعداء الله» (4).

هكذا استبان لنا سببُ رفض ابن الزبير استمالة الخوارج.. فهم يناظرونه والحرب دائرة، أي وصولية هذه وأي عبث هذا!!. فهم يعلمون أن الموقف جد صعب وجيوش الشام تحاصر مكة، ورغم ذلك يريدون أن يحاربوا معه بشروط، وخطاب في منتهى الغلظة. إنها لصالح ابن الزبير وليس عليه كما يزعمون. ورغم كل ذلك فإنه عاملهم بالحسنى وجادلهم بالتي هي أحسن، وهم الذين أصروا على مناظرته وطالبوه بتصداق مقالتهم كشرط للانضمام معه ومبايعته. فماذا عسى ابن الزبير الذي ابتلي بهذه العقليات من أهل البدع أن يفعل.. هل يجاريهم تقية ثم ينقلب عليهم؟ وستجد نفس هذه الأقلام تذم ابن الزبير وتتهمه بالميكيافلية، وحاشاه ذلك رضي الله عنه..

أسباب قتال ابن الزبير للمختار:

المختار بن أبي عبيد بن (مسعود الثقفي: «ولد في السنة الأولى للهجرة في الطائف، انتقل مع أبيه أيام عمربن الخطاب رضي الله عنه إلى المدينة، ثم كان مع علي بن أبي طالب وبقي المختار في المدينة منقطعاً إلى بني هاشم، ثم كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالعراق. وسكن البصرة بعد علي، وسجنه عبيدالله بن زياد أيام مشكلة مسلم بن عقيل، وضربه على عينه، ثم أُخرج من السجن بعد أن طلب عبدالله بن عمر رضي الله عنهما من يزيد ذلك، وكانت أخت المختار صفية تحت عبدالله بن عمر، فذهب المختار إلى الحجاز وأقام بالطائف فكان يقول: والله لأقطعن أنامل عبيد الله، فلما قوي أمر عبدالله بن الزبير، بايعه المختار وكان من قادته، ودافع عنه يوم حصار الحصين بن نمير، فلما مات يزيد بن معاوية واضطراب أمر العراق استأذن ابن الزبير بالذهاب إلى

(4) الطبري - ج5 - ص566.

العراق للدعوة له فانتقل إلى الكوفة. وبدأ يدعو بإمامة المهدي فسجن تاركاً الدعوة لابن الزبير، ولما قوي أمره خرج فأخذ الكوفة من عبدالله بن مطيع والي عبدالله بن الزبير، واستولى على الموصل، وتتبع قتلة الحسين، وقتل أمير جيش عبدالملك بن مروان وهو عبيد الله بن زياد، ثم قتله مصعب بن الزبير عام97هـ» (5).

ويقول عنه الحافظ ابن كثير: «ثم زالت دولة المختار كأن لم تكن، وكذلك سائر الدول، وفرح المسلمون بزوالها، وذلك لأن الرجل لم يكن في نفسه صادقاً، بل كان كاذباً يزعم أن الوحي يأتيه على يد جبريل» (6).

وكان المختار يزعم أنه يأتيه الوحي.. ونقل ابن كثير عن الإمام أحمد بن حنبل قوله: «عن رفاعة القباني: دخلت على المختار فألقى لي وسادة. وقال: لولا أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك»(7).

«وقد قيل لابن عمر: إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه، فقال صدق، قال تعالى: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم)» (8).

وفي تعليقه على حديث :«إن في ثقيف كذاباً ومبيراً» يقول ابن كثير: «وقد ذكر البيهقي هذا الحديث في دلائل النبوة، وقد ذكر العلماء أن الكذاب هو المختار بن أبي عبيد، وكان يظهر التشيع، ويبطن الكهانة، وأسر إلى أخصائه أنه يوحى إليه، ولكن ما أدري هل كان يدعي النبوة أم لا؟ وكان قد وضع له كرسي يعظم ويحف به الرجال، ويستر بالحرير، ويحمل على البغال وكان يضاهي به تابوت بني إسرائيل المذكور في القرآن، ولا شك أنه كان ضالاً مضلاً أراح الله المسلمين منه بعدما انتقم به من قوم آخرين من الظالمين. كما قال تعالى: (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون)(9).

ويقول عنه الإمام الذهبي: «المختار بن أبي عبيد الثقفي: الكذاب، كان والده الأميرُ أبوعبيد بن مسعود (..) قد أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم نعلم له صحبة.(..) ونشأ المختار، فكان من كُبراء ثقيف، وذوي الرأي، والفصاحة، والشجاعة، والدهاء، وقِلّة الدين، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يكون في ثقيف كذابٌ ومبير».

---

(5) التاريخ الإسلامي ـ محمود شاكر ـ ج4 ـ ص172.

(6) البداية والنهاية ـ ج4 ـ ص791.

(7) السابق ص792.

(8) السابق ص791

(9) السابق ص792.

فكان الكذاب هذا، ادّعى أنّ الوحي يأتيه، وأنه يعلمُ الغيبَ، وكان المبير الحجاج، قبحهما الله»(10).

* نقض المختار بيعة ابن الزبير رضي الله عنه وعمله في السر ضده:

* ويقال إنه سأل ابن الزبير أن يكتب له كتاباً إلى ابن مطيع، نائبه بالكوفة، ففعل، فسار إليها، وكان يظهر مدح ابن الزبير في العلانية ويسبه في السر، ويمدح محمد بن الحنفية ويدعو إليه ومازال حتى استحوذ على الكوفة بطريق التشيع واظهار الأخذ بثأر الحسين، وبسبب ذلك التفت عليه جماعات كثيرة من الشيعة وأخرج عامل ابن الزبير منها»(11).

وخلاصة القول في المختار الثقفي:

* أنه كذاب مخادع وصولي غادر.

* أنه نقض بيعة ابن الزبير وغدر بواليه وطرده من الكوفة.

* أنه كان فاسد الإعتقاد يزعم أنه يوحى إليه.

* أنه استحوذ على الناس بإظهار الأخذ بثأر الحسين رضي الله عنه.

لذلك نرى أن أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير لم يقصر في استمالة المختار الثقفي إلى جانبه عندما علم فيه الصدق أولاً، وماذا عسى ابن الزبير أن يفعل مع رجل بايعه ودعا له على المنابر علانية، لكنه اكتشف أن الرجل فاسد الإعتقاد وله أطماع يحرض الناس على نقض بيعته ومحاربته والدعوة لمحمد بن الحنفية سراً وبدأ بالغدر وطرد والي ابن الزبير.. إزاء هذه المعطيات، كان لزاماً على ابن الزبير أن يتصدى لهذا الخطر الداهم، فأراح الله المسلمين بقتل هذا الدعي الكذاب.

خامساً: اهماله الدعاية والإعلام:

يقصدون اهماله الشعراء ويستندون على بعض الروايات نختار منها:

الشاعر عبدالله بن الزَّبير الأسدي (بفتح الزاي):

ذكره الإمام الذهبي: «عبدالله بن الزَّبير بفتح الزاي، فهو الأسديُّ، أسدُ خُزيمة، كوفي،

---

(10) سير اعلام النبلاء- ج4- 539.

(11) البداية والنهاية - ج4 - ص290.

شاعر مشهور، له نظم بديع.. وهو الذي امتدح معاوية، ثم قدم على ابن الزُّبير، فلم يُعطه شيئاً، فقال: لعن اللهُ ناقةً حملتني إليك. فقال: إنَّ وراكبَها. (أي ولعن الله راكبها).» (12).

قالوا اهماله: النابغة الجعدي:

النابغة الجعدي شاعر مخضرم له صحبة واسمه حبّان بن قيس بن جعدة بن مضر. ويكنى أبا ليلى. دخل على عبدالله بن الزبير رضي الله عنه المسجد الحرام فأنشده:

حَكَيتَ لنا الصـــديقَ لما وَليــتَنا
وعُـثـمـانَ والفـاروقَ فـارتاح مُـعـدِمُ

أتـاك أبو ليلى يجـــوبُ به الدُجى
دُجى الليل جـوَّابُ الفَـلاةِ عـثـمـثمُ

لِتـجـبـرَ منه جـانبـاً زَعـزعتْ به
صـروفُ الليـالي والزمـانُ المصـمِّمُ

فقال له ابن الزبير: هوِّن عليك، أبا ليلى. فإن الشعرَ أهونُ وسائلك عندنا. لك في مال الله حقَّان: حق برؤيتك رسولَ الله، وحق بشركتك أهل الإسلام في فيئهم. ثم أخذ بيده فدخل به دار النَعَم، فأعطاه قلائص سبعاً وجملاً رَجيلا وأوقَر له الإبل بُراً وتمراً وثياباً (13).

بداية لا نسلم بصحة خبر النابغة الجعدي رضي الله عنه، لزندقة أبي الفرج الأصفهاني صاحب كتاب «الأغاني». ولو سلمنا جدلاً بصحة الخبر فإن الشاهد من الرواية السابقة قول ابن الزبير رضي الله عنه للنابغة: «هوِّن عليك، أبا ليلى. فإن الشعرَ أهونُ وسائلك عندنا».. فهذه العبارة لا يستدل منها على هوان الشعر عند ابن الزبير واهماله له، بل هذه العبارة اجابة للنابغة الجعدي لأنه يطلب مالاً بهذا الشعر.. فابن الزبير يريد تحرير المقصد والنية وأن يكون المدح أو الذم لله وحده لا لمطلب دنيوي.. فهذا المفهوم الراقي في تقييم الأمور ونصح الرعية بعدم استجداء الولاة، بل إن ابن الزبيريؤكد من خلال هذه الرواية أنه كان يسير على درب من سبقه من الخلفاء الراشدين. فلا تملق ولا

(12) سير أعلام النبلاء ـ الذهبي ـ ج3 ـ ص383.

(13) اغاني الأغاني ـ مختصر أغاني الأصفهاني ـ الخوري يوسف عون ـ عبدالله العلايلي مج1ـ ص387.

تزلف للحكام. كما أن هذه الرواية تصطدم بعناية ابن الزبير بالشعر، بل هو نفسه كان شاعراً.. حتى في ساحة الوغى وعلى مشارف الموت كان ابن الزبير يتمثل بأبيات للحصين بن الحمام، يرددها في حصاره الأخير:

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ... ولكن على أعقابنا تقطر الدما

نُفلّق هاماً من رجال أعزّة ... علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

ودليل اهتمام ابن الزبير بالشعراء أن عبد الله بن قيس الرُّقيات كان شاعر الدولة الزبيرية الأول: «وكان عبيد الله بن قيس الرقيات من أنصار آل الزبير منقطعاً إليهم (..) (وهو) شاعرُ قريش في الإسلام غير منازع. وقد كان أشدَّ قريش أسْرَ شِعْرٍ (متانة وشدة) في الإسلام بعد عبدالله بن الزِبَعْرَى في الجاهلية. وكذلك كانت أفانين شعره كثيرة: له المدح البارع والهجاء الشديد والغزل الرائق.(..) وقد كانت أكثر مدائحه وأحسنها في مصعب بن الزبير» (14.أ). فهل بعد هذا يقال إن ابن الزبير رضي الله عنه أهمل الشعراء بل وأهمل الدعاية.. فأي دعاية يقصدون ومعظم منابر العالم الإسلامي تدعو لابن الزبير وتحت رايته.. الحجاز ومصر واليمن والعراق وخراسان وفلسطين ومعظم الشام -ماعدا الأردن- كانت تخطب لابن الزبير. ولن نزيد على ما قلنا خشية الإطالة.

سادساً: قولهم إنه كان بخيلاً:

نلاحظ أن كثيرا من الكتاب كرّروا هذه العبارة حتى صارت لازمة لابن الزبير رضي الله عنه. ولا يكاد يخلو كتاب من ذكر هذه الصفة الذميمة من لدن الطبري حتى وقتنا الحاضر. وقد ذكرنا عبارة د. ماهر حمادة آنفاً: «فقد كان بخيلاً كل البخل والعرب لا تدين لبخيل. كان يعطي الناس فيئ الله وكأنه يقسم ميراثه من أبيه» (14.ب).

وتعليقنا على هذه القضية يتلخص في النقاط التالية:

* إن في قصة النابغة الجعدي -على افتراض صحتها- ما يعضد رأينا إذ أنّ ابن

(14.أ) تاريخ الأدب العربي ـ ج1ـ ص447،448.

(14.ب) دراسات وثقية ـ ص47.

الزبير كان يسير على طريقة أبي بكر وعمر فهل كان يعطي الصديق أوالفاروق رضي الله عنهما الشعراء من بيت مال المسلمين؟ . وقصة عمررضي الله عنه مع الشاعرالحطيئة شهيرة -فلتراجع في مظانها- لم يعطه إلا لفقره ولحاجته.. وكذلك فعل عبدالله بن الزبير مع النابغة الجعدي رضي الله عنه إذ قال له كما في الرواية السابقة: «لك في مال الله حقّان: حق برؤيتك رسولَ الله، وحق بشركتك أهل الإسلام في فيئهم. ثم أخذ بيده فدخل به دار النَعَم، فأعطاه قلائص سبعاً وجملاً رَجيلا وأوقَر له الإبل بُراً وتمراً وثياباً». هكذا كان يتعامل ابن الزبير مع مال المسلمين.. فلو أنه أعطى هذا الشاعر وغيره من مال المسلمين لقالوا إنه جواد كريم، رغم أنه ليس من كده ولا من حر ماله ولربما قالوا العكس: من أين لابن الزبير بهذا المال؟! إنه يتصرف في مال المسلمين كأنه يتصرف في ماله أو مال أبيه؟! أو بعبارة أشد قولهم إن ابن الزبير يتصرف في مال المسلمين كأنه مال بدون صاحب!!

* الذي روج لهذه الصفة هم الشعراء الذين لم يجدوا ضالتهم عند ابن الزبير، فلما سخطوا عليه احتضنهم الخصوم وأجزلوا لهم العطاء، فهجوا ابن الزبير في قصائد مدفوعة من قبل السلطة الحاكمة وراجت هذه الشائعات بعد مقتل ابن الزبير واستقرار ملك بني أمية.. لأن التاريخ يكتب على هوى المنتصر بغية تحسينه وسحق خصومه. وقد ذكرنا في مقالة سابقة: «إن الكثير من كتب التاريخ خضعت لهوى الحكام، إما رغبة في نوال ما عندهم، أو رهبة من سطوة الدولة، أو بميل المؤرخ لتوجهات الدولة» (15).

ومثل هذه الشبهات والطعون التي تقال عن هؤلاء الخلفاء والقادة تصديق لما ذكرناه من قبل: «إن كتابة التاريخ الإسلامي تعرضت لتشويه متعمد من قبل السلطة، وكان الإخباريون والشعراء أدوات السلطة في التشويه. وقد أغفل العباسيون هذه الصفحة المضيئة في تاريخ هذا الخليفة المفترى عليه، كنا نود أن يردوا إليه اعتباره ويذبوا عنه ما وصمه به خصومه.. ولكنهم ساروا على درب من سبقهم. فطفقوا يرددون نفس الأخبار والروايات وهم يعلمون أن ابن الزبير وتاريخه وسابقته وصحبته براء من هذه الصفات الذميمة.. لذلك نرى أن هوى الحكام وخشيتهم من ظهور ابن زبير آخر هو الذي دفعهم لغض الطرف عن إعادة الإعتبار لهذا الصحابي الجليل.. فلا يريدون من يعكر عليهم صفو سلطتهم.. فاكتفوا بإبراز صحبته، وفقهه وورعه، وزهده، مع شجاعته وجهاده.. أما

(15) المنهاج ـ العدد الأول ـ ص 68.

الجوانب الأخرى فتركوها للإخباريين!! وزادت حكايات بخل ابن الزبير في عصر بني بويه(320هـ ـ 447هـ).. وكتاب الأغاني للأصفهاني طافح بمثل هذه الأكاذيب التي يعتمد عليها الرواة في طعن الصحابة وسادة الأمة رضي الله عنهم أجمعين.

* الذي يقوي وجهة نظرنا أن قصة بخل ابن الزبير خلت منها سيرته الأولى أي قبل أن يبايع خليفة.. وروج خصومه هذه الإشاعات وزادوا فيها خاصة بعد أن بويع له بالخلافة، وبعد مقتله رضي الله عنه.

خلاصة ما سبق

بعد هذا العرض السريع لأهم الشبهات والطعون التي ذكرها الكتاب في أسباب فشل ابن الزبير في الاحتفاظ بملكه.. يكون قد استبان لنا ضعف هذه الأسباب التي ذكروها..

لذلك نرى أن أهم الأسباب التي أدت إلى فشل ابن الزبير في الإحتفاظ بملكه تتلخص في الآتي:

* حروب ابن الزبير على عدة جبهات في وقت واحد..

الجبهة الأولى: قتاله لأهل الشام بقيادة مروان بن الحكم ثم ابنه عبد الملك بن مروان.

الجبهة الثانية: حروبه ضد الخوارج بقيادة نافع ابن الأزرق في العراق وخراسان.

الجبهة الثالثة: حروبه ضد المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب في العراق.

الجبهة الرابعة: حروبه ضد الروم وتأمينه الحدود خشية الاغارة على بلاد الإسلام.

* توزيع قواد ابن الزبير على عدة جبهات مثل:

المهلب بن أبي صفرة فارس العرب والإسلام وكاسر شوكة الخوارج، يعتبر من أعظم قواد المسلمين في عصره، وهوالذي دوخ أهل الشرك وصارت له خبرة طويلة في قتال الخوارج.

إبراهيم بن الأشتر فارس بن فارس أبوه الأشتر النخعي ويعتبر من أفتك قادة المسلمين وقد انقلب على المختار الثقفي بعدما علم كذبه وصار من قادة ابن الزبير رضي الله عنه.

أما كبير القواد فهو فارس آل الزبير والإسلام مصعب بن الزبير رحمه الله فقد كان

مشغولاً بحرب عبدالملك بن مروان وجند الشام وفي نفس الوقت يحارب المختار الثقفي..

ومن هؤلاء القواد الأحنف بن قيس مضرب المثل في الحلم والحكمة والشجاعة. الأحنف بن قيس الذي قال عنه معاوية رضي الله عنه (الأحنف بن قيس إذا غضب. غضب مائة ألف لغضبه ولايسألون لم غضب)..

هذه حقيقة يجب أن نعترف بها لولا تعدد هذه الجبهات لسحق قواد ابن الزبير جيش ابن مروان. ومن ثم لتغير التاريخ ولقرأناه بنفس ونظرة أخرى بل ولرأيناه بمنظور آخر! لكن قدر الله كان مقدوراً.. ولله في خلقه شؤون.

أما على الجانب الآخر فقد وقف عبد الملك بن مروان يترقب وينتظر نتائج المعارك مما ساعده في الاحتفاظ بكامل قواته.. وكان ينفق الأموال ويشتري ذمم بعض الجند. ثم حانت له الفرصة وأرسل جيشاً إلى العراق لقتال ابن الزبير الذي كان مشغولاً بحرب بقايا شيعة المختار الثقفي، وانشغال المهلب بن أبي صفرة بحرب الخوارج في خراسان وانتهت المعركة في العراق لصالح عبدالملك بن مروان وقتل ساعد ابن الزبير الأيمن وعظيم قواده الذي رثاه الشعراء وترحم عليه أهل الإسلام.. وله ترجمة طيبة في البداية والنهاية..

هكذا سطر ابن الزبير وأصحابه صفحة مشرقة في جبين التاريخ. فلولا توفيق الله سبحانه وتعالى لابن الزبير لكسر شوكة الخوارج الذي استباحوا دماء أمة الإسلام.. وأنهى الله به شوكة المختار الثقفي الكذاب.. لا ندري ماذا كان سيكون حال الأمة لو انتصر الخوارج أو المختار الكذاب على جيش ابن الزبير رضي الله عنه؟! فهل كان في مقدور جيش الشام أن يدفع هذا الخطر الداهم؟! ألم يقتل المختار الثقفي في غداة واحدة معظم قواد عبد الملك بن مروان (عبيدالله بن زياد والحصين بن نمير وذوالكلاع وعمر بن سعد وخلق كثير من جند الشام)؟!!

إن الحقيقة المؤلمة أن زمن ابن الزبير قد انتهى وما عادت سيرة الراشدين والأخلاق الحميدة ومعاملة الناس بسياسة الصديق والفاروق تجدي؛ فقد دخل خلق جديد وأمم كثيرة في الإسلام وتغيرت القيم والمثل.. وما عاد الناس يطيقون أن يعاملوا بالطريقة العمرية.. وهذا مايفسر لنا ما حدث من قبل مع الحسن بن علي رضي الله عنه، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرغم علمه وشجاعته وزهده ورعه.. يتخلى عنه الناس ويصلح الله به الفريقين. مصداقاً لمدح الرسول له صلى الله عليه وسلم (إن ابني هذا سيد...) الحديث.. فهي صورة من أرقى درجات الرقي الخلقي والعزوف عن زهرة هذه

الدنيا وزخرفها واختيار ما هو أبقى.. فإذا كان ابن الزبير فشل في الإحتفاظ بملكه فإنه لم يفشل -إن شاء الله- بالإحتفاظ بما عند الله من نعيم سرمدي وحياة أبقى وأسمى.. فقد كان مقتل ابن الزبير إيذاناً بحلول عهد جديد وقيم جديدة عن سيرة الخلفاء الراشدين.. لقد أراد ابن الزبير أن يعيد للحجاز هيبته وثقله الديني، فلم يفلح في نهاية المطاف. لذلك لا نعجب من إصراره على الإحتفاظ بمركز الحجاز الإستراتيجي من الناحية الدينية.. فالرجل لم يكن جاهلاً بموقع الحجاز الجغرافي ويعرف مدى حاجة مكة إلى غيرها من الأمصار.. ولكنه أراد أن يعيد لهذا المكان المقدس هيبته بعد أن حلت الفوضى في ربوع أرض الإسلام.. فماذا كانت النتيجة عندما اختار الحسين أرض العراق.. تخلى عنه أنصاره وأشياعه وقتل الحسين في كربلاء فصار دمه لعنة على هذه الأمة إلى وقتنا الحضار من تفرق وتشرذم.. أراد ابن الزبير أن يعيد للحجاز وللحرمين الهيبة والوقار والثقل الشرعي.. لعلمه بما حدث لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبما حدث لولده عندما خذله أشياعه ومريدوه من أهل العراق.. فهل يقال بعد كل هذا أن ابن الزبير لم يكن ذا نظر في عواقب الأمور.. أعتقد لو أن المعركة انتهت لصالح ابن الزبير لقالوا وحللوا غير الذي نقرؤه اليوم في كتبهم وأبحاثهم. ولكن هكذا يكتب التاريخ: يكتب بهوى المنتصر وبشروطه... ولله الأمر ومن قبل ومن بعد.

خلافة راشدة أم خلافة على منهاج النبوة

هل يعد ابن الزبير من الخلفاء الراشدين؟ وهل خلافته على منهاج النبوة؟

إذا كنا نسلم بأن ابن الزبير كان خليفة زمانه إلى أن قتل؟ فلماذا لانعدّه من الخلفاء الراشدين؟!

قبل أن شرع في إلقاء الضوء على هذه القضية نستعرض بعض الأحاديث الآتية:

في صحيح البخاري: ساق بسنده : «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يكون اثنا عشر أميراً فقال كلمة لم أسمعها فقال: أي إنه قال كلهم من قريش» [الحديث رقم 6682]

وفي صحيح مسلم: «دخلت مع أبي على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول إنْ هذا الأمر لاينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفةً، قال: ثمّ بكلام خفي عليَّ فقلتُ لأبي: ما قال؟ قال:كلهم من قريش» [الحديث رقم 3393].

وفي صحيح مسلم أيضاً: «انطلقتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي أبي فسمعتُهُ يقول: لايزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة فقال كلمة ضمّنيها الناسُ فقلتُ لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش» [الحديث رقم 3397].

وفي سنن أبي داود: «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لازال هذا الدينُ قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفةً كلهم تجتمع عليه الأمة فسمعتُ كلاماً من النبي صلى الله عليه وسلم لم أفهمه. قلت لأبي: مايقول؟ قال: كلهم من قريش» [الحديث رقم 3737].

وبعد: حتى لا يتبادر إلى الذهن تسآل: ما علاقة هذه الأحاديث بموضوع المقالة؟ مما لاشك فيه أننا سقنا هذه الأحاديث لعلاقتها بصميم موضوعنا، ولتعضيد وجهة نظرنا في أن دولة ابن الزبير كانت خلافة راشدة وقد أفاض الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث في كتاب الأحكام في فتح الباري وعد ابن الزبير رضي الله عنه ضمن الاثني عشر خليفة الذين تجتمع عليهم الأمة.. يقول ابن حجر العسقلاني بعد استعراضه لآراء العلماء وشروحهم لهذا الحديث برواياته المختلفة: «وعلى تقدير ذلك فالأولى أن يحمل قوله«يكون بعدي اثني عشر خليفة» على الحقيقة البعدية، فإن جميع من ولي الخلافة من الصديق إلى عمر بن عبدالعزيز أربعة عشر نفساً، منهم اثنان لم تصح ولايتهما ولم تطل مدتهما وهما معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم، والباقون اثنا عشر نفساً على الولاء كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت وفاة عمر بن عبد العزيز سنة إحدى ومائة، وتغيرت الأحوال بعده، وانقضى القرن الأول الذي هو خير القرون، ولا يقدح في ذلك قوله «يجتمع عليهم الناس» لأنه يحمل على الأكثر الأغلب، لأن هذه الصفة لم تفقد منهم إلا في الحسن بن علي وعبدالله بن الزبيرمع صحة ولايتهم، والحكم بأن من خالفهما لم يثبت استحقاقه إلا بعد تسليم الحسن وبعد قتل ابن الزبير والله أعلم، وكانت الأمور في غالب أزمنة هؤلاء الاثني عشر منتظمة وإن وجد في بعض مدتهم خلاف ذلك، فهو بالنسبة إلى الإستقامة نادر والله أعلم» (16).

نستخلص من كلام ابن حجر الآتي:

* أن ابن الزبير والحسن بن علي ضمن الاثني عشر خليفة مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم:«لايزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة».

---

(16) فتح الباري ـ ابن حجرالعسقلاني ـ ج13 ـ ص215.

* صحة بيعة ابن الزبير وبطلان بيعة مروان بن الحكم وعدم احتساب مدة معاوية بن يزيد (معاوية الثاني) وبطلان ولاية عبد الملك بن مروان في المدة الأولى أي إلى حين مقتل ابن الزبير رضي الله عنه، فمن هنا صحت بيعة عبدالملك بن مروان.

* أن ابن الزبير يستحق أن يقال عنه خليفة راشد. بل هو أولى من عمر بن عبدالعزيز رحمه الله لاعتبارات كثرة:

أولاً: علو منزلة ابن الزبير لشرف صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى أنه لم يكن صحابياً عادياً بل إنه من فقهاء وعلماء الصحابة، ومن العبادلة الأربعة المشهورين بالفتوى وبالفقه والعلم من الصحابة.

ثانياً: أنه ولي أمر المسلمين ببيعة شرعية صحيحة ولم يكن متغلباً ولم تصل إليه بالميراث الملكي كما آلت لعمر بن عبدالعزيز رحمه الله.

ثالثاً: إذا كان عمر بن عبد العزيز قد استحق أن يقال عنه خليفة راشد لسيرته العادلة ولتأسيه بسيرة عمر بن الخطاب رضي الله رغم قصر خلافته.. فإن عبد الله بن الزبير أولى إذ أن سيرته العادلة وزهده وجهاده قبل الخلافة وأثناءها لا يخفى على أحد من أهل الإسلام حتى خصومه الذين شهدوا له بذلك.

رابعاً: يجب ألا نتردد ونحن نكتب أو نقرأ سيرة عبد الله بن الزبير أن نضيف هذه الألقاب التي طمسها الإخباريون «أمير المؤمنين» «الخليفة الراشد» بل «والخليفة الشهيد». رضي الله عنه.. فقد حفظنا منذ الصغر (الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز) ...(خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبدالعزيز) (جده لأمه عمر بن الخطاب لذلك سار على سيرته).. كل هذه الصفات لا اعتراض عليها فرحمة الله على عمر بن عبد العزيز الذي كان يسير على خطى الخلفاء الراشدين.. أما أن يقال إنه خامس الخلفاء الراشدين ويغض الطرف عمن سبقه، فهذا حيف تاريخي بل وظلم للخليفة الراشد الحسن بن علي بن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وجور أيضاً على حق عبد الله بن الزبير هذا الخليفة المجاهد الراشد: فحيثية ابن الزبير التارخية أولى من عمر بن عبد العزيز في استحقاق هذا اللقب: وبالأنساب فابن الزبيرمن سادة قريش: أبوه الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأمه أسماء بنت الصديق ذات النطاقين رضي الله عنها، وجده لأمه أبوبكر الصديق رضي الله عنه، وخالته عائشة أم المؤمنين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجدته لأبيه صفيّة عمة رسول الله صلى الله عليه

وسلم، وهو أول مولود ولد للمسلين في المدينة، حنّكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه الشريف، جهاده وبلاؤه وفتوحاته وفضله وتقواه وعدله وورعه متواتر. رضي الله عنهم أجمعين. وإزاء ذلك نرى أنه من المناسب أن يتّسع مفهوم الخلافة الراشدة ليشمل كل من يسير بالأمة سيرة الصديق والفاروق رضي الله عنهما. لذلك نرى أن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه خليفة راشد ويعد سادس الخلفاء الراشدين. فيكون الترتيب كالآتي: بعد الخلفاء الأربعة يكون الحسن بن علي رضي الله عنه خامس الخلفاء الراشدين ويأتي ابن الزبير رضي الله عنه سادسهم. أما عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه رحمة واسعة فلا خلاف عليه في تعداده ضمن الخلفاء الراشدين ولكن الخلاف في ترتيبه لأن مفهوم الخلافة الراشدة قد يضم آخرين سبقوا عمر بن عبدالعزيزوقد يكون لنا مع هذه القضية بحث آخر إن شاء الله.

هكذا نكون قد أنصفنا ابن الزبير رضي الله عنه. وقبل أن نختم هذه الدراسة السريعة نود أن نضيف زيادة هامة تتمة لما قلناه إذ قد يعترض البعض إشكال أو يظن أن هناك تعارضاً بين حديث الاثني عشر خليفة المذكور بحديث «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً».. ونجيب على هذا التعارض المزعوم بما قاله القاضي عياض، نقلاً عن ابن حجر في الفتح: «وقد لخص القاضي عياض ذلك فقال: توجه على هذا العدد سؤالان أحدهما أنه يعارضه ظاهر قوله في حديث سفينة يعني الذي أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً» لأن الثلاثين سنة لم يكن فيها إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن بن علي. والثاني أنه ولي الخلافة أكثر من هذا العدد. قال: والجواب عن الأول أنه أراد في حديث سفينة «خلافة على منهاج النبوة» ولم يقيده في حديث جابر بن سمرة بذلك. الثاني: أنه لم يقل «لا يلي إلا اثنا عشر» وإنما قال: يكون «اثنا عشر» وقد ولي هذا العدد ولا يمنع ذلك الزيادة عليهم، قال: وهذا إن جعل اللفظ واقعا على كل من ولي، وإلا يحتمل أن يكون المراد من يستحق الخلافة من أئمة العدل، وقد مضى منهم الخلفاء الأربعة لابد من تمام العدة قبل قيام الساعة» (17).

نستخلص من كلام القاضي عياض مايلي:

* لا تعارض بين حديث :«لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة» وبين

---

(17) فتح الباري ـ ابن حجرالعسقلاني ـ ج13 ـ ص212.

حديث: «الخلافة بعد ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً».

* الحديث الأول عام يتكلم عن أئمة العدل ومن يسيرون بين الناس بالعدل، ويجتمع عليهم الناس في الأغلب.

* الحديث الثاني: «يتكلم عن حقبة معينة وعن خلافة على منهاج النبوة» وبالحساب الزمني تشمل هذه الفترة الصديق والفاروق وذوالنورين وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم.. وتشمل الحسن بن علي أيضاً لأنه ورد في بعض الروايات:«تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين»

* من منطوق ومفهوم الحديث الثاني «الخلافة بعدي ثلاثون سنة» لا تكون خلافة عبدالله بن الزبير ولا خلافة عمر بن عبدالعزيز على منهاج النبوة، لأنه لم تشملهما الفترة الزمنية.

* ومن منطوق ومفهوم الحديث الأول:«اثنا عشر خليفة» أي بالمعنى الواسع فخلافة ابن الزبير رضي الله عنه خلافة راشدة، ويلحق به عمر بن عبد العزيز ومن يسير على نفس الطريق.

* الخلافة على منهاج النبوة كخلافة الخلفاء الأربعة هي أنموذج صافي لكي تتأسى الأمة به، منهم من يقترب من الأنموذج كخلافة عبد الله بن الزبير، ومنهم من هو أقل كخلافة عمر بن عبدالعزيز وكلاهما خلافة راشدة، أما الأنموذج الأول فهو نبراس لهذه الأمة ومقياس للحكم على الولاة.

صفوة القول

بعد هذا العرض السريع يتبين لنا أن كتابة التاريخ الإسلامي في حاجة لإعادة النظر، فهناك كمٌ هائل من تلال الزيف، وركام فظيع من تحريف الكلم عن مواضعه. هكذا استبان

لنا شخصية عبدالله بن الزبير أمير المؤمنين بدون دخن واضحة جلية، ابن الزبير لم ينصفوه حياً وميتاً، بل كنا نردد ما اخترعه الإخباريون القدماء دون روية. وجاء اخباريو هذا الزمان فزادوا الطين بلة! وطفقوا يبنون أوهاماً من الدراسات والأبحاث، وجّل معطياتهم أخبار مدسوسة وروايات واهية، ومن ثم كانت النتيجة أننا نقرأ تاريخاً يحمل أخباراً متناقضاً، وقادة يحملون صفات متناقضة.. مما ساعد في اهتزاز صورة الجيل الأول وخلق حالة من الحيرة والريب لدى ضعاف النفوس والشعور بالحرج ونحن نقرأ تاريخ سلفنا الصالح.

هكذا نكون قد أنصفنا ابن الزبير وأعدنا لإعتبار إلى هذه الشخصية العظيمة؛ ولا نزعم أننا نأتي بجديد ولكنها محاولة منا لوضع لبنة في صرح تاريخنا التليد.. ودعوة الغيورين من أبناء هذه الأمة لكي يعيدوا النظر في قراءة وكتابة التاريخ الإسلامي، ورد الإعتبار لقادة المسلمين المفترى عليهم.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نقول: رضي الله عن الخليفة الراشد المجاهد الشهيد عبد الله بن الزبير الذي كان كثيراً مايقول «والله ما نموت إلا بأطراف الرماح أو تحت ظلال السيوف».. وبالله التوفيق.

والحمد لله رب العالمين

رسائلكم وصلت..

وصل بريد المجلّة العديد من الرّسائل والمحاولات القيّمة.. والمُلاحظ هو تشابه رسائل القرّاء من حيث محتواها، وذلك بالتّعبير عن الإعجاب بالمجلة ومنهجها الذي تسير عليه.. وقد اخترنا للقرّاء من بين هذا الكمّ من الرسائل، رسالة نقدية أرسل بها الأخ أبو عمر.. أمّا بقيّة الرّسائل فنعتذر للإخوة عن عدم إدراجها، أوّلا لضيق المساحة المخصّصة، وثانيا لأنّها تحمل تقريبا نفس المحتوى، أمّا فيما يخصّ المحاولات الكتابيّة والمساهمات فنعد أصحابها بأنّنا سنحاول نشرها في أقرب فرصة إن شاء الله تعالى..

بقي أن نعلم الإخوة الذين أرسلوا يطلبون الأشرطة السّمعيّة والبصريّة أنّنا قد أحلنا طلباتهم على الأخ المسؤول في هذا المجال..

من القارئ إلى المحرّر

نص رسالة الأخ أبي عمر الفاروق.

سلام عليكم، وأحمد إليكم الله الذي لا إله غيره.

أخوة الإسلام/ وصلني العدد الثاني من مجلتكم المباركة عن طريق أحد الإخوة ورأيتها مجلة مباركة -إن شاء الله تعالى- وواضحة التوجه بدون لف ودوران كحال كثير من المجلات الإسلامية أسأل الله تعالى لنا ولهم الهداية.

أخوة الإسلام/ بعد قرائتي للعدد الثاني من مجلتكم كانت لي بعض الملاحظات التي أظنها بالنسبة لي تحتاج لتصحيح أو تبيين الخ، وذلك من باب النصح الأخوي وحرصي

على تصحيح ما أظنه يحتاج للتصحيح.

1- موضوع (قراءة في النبوءات) للشيخ أبي قتادة ص 9، قول الشيخ عن المدعو صفي الدين الأردبيلي (الشيعي الصوفي) كان الصحيح أن يقول: الرافض بدل الشيعي لأن التشيع بمفهومه الإصطلاحي انتهى منذ زمن بعيد وما بقي إلا الروافض ولهذا يجب أن تنشر هذا الفهم بين الناس بأن دين الرافضة غير التشيع.

2- قول الشيخ ص 10 عن الطوائف والفرق بأنها (بدائل عن الإسلام السني الصحيح) أليس من الأولى استعمال كلمة الإسلام فقط أو إضافة الإسلام كما هو في الكتاب والسنة وفق مفهوم السلف وهذه الجملة كثير ما يستعملها العلماء بدلا من إسلام صحيح وإسلام غير صحيح.

3- قول الشيخ ص 12 تحت بند (دولة إسرائيل) (كان بيغن يعتقد في موشي ديان أنه الملك المنتظر) لم يذكر الشيخ مصدر هذا الإعتقاد من أدبيات بيغن نفسه أي مما كتبه هو أو تكلم به هو بلسانه ومتى وأين وأية صفحة وهل كلامه هذا قاله صراحة أم فهم لمن نقل عنه الشيخ.

4- قول الشيخ في ص 13 تحت نفس البند (وقد استلم اليهود المتدينون أهم مراكز القوى في الدولة) كان بالأحرى على الشيخ أن يضيف عبارة وهي أن كل اليهود متدينين وغير متدينين اعتقادهم واحد هو أن دولة اسرائيل من النيل إلى الفرات، لأن عبارة الشيخ الأولى قد تعطي معنى بأن غير المتدينين لا يعتقدون ما يعتقده المتدينون، علما أن الكل اعتقادهم واحد (..) إلا أن الظاهر هو اختلافهم في الأسلوب، فهل رابين كان أفضل من نتنياهو، أم بن غوريون أفضل من اشكوال؟ ثم إن المعركة بيننا وبينهم هي صراع عقيدة لأنهم يهود، لا كما قال أحد دعاة المسلمين بأننا لا نقاتلهم لأنهم يهود، وهذا خطأ فاضح يخالف آيات الكتاب وسيرة الحبيب صلى الله عليه وسلم.

5- ذكر الشيخ في ص 13 كتابا باسم (النبوّة والسياسة) ولم يذكر لنا الشيخ اسم مؤلف الكتاب.

6- ذكر الشيخ عبارة (فوزارة الخارجية بيد اولبرايت اليهودية) وكان الأحرى أو الصواب أن يقول ذات الأصل اليهودي، لأن أولبرايت ابنة رجل كان يهوديا ثم اعتنق الكاثوليكية أيام الحرب العظمى الثانية إلا إذا صرحت أولبرايت (بأنها رجعت إلى يهوديتها) فأنا لا أعرف ذلك وليس معنى كلامي بأنها ليست يهودية في داخلها وانما من باب الأمانة العلمية.

7- نقل الشيخ عن صحيفة اسلامية أنها نشرت كلاما سخيفا عن مسألة ظهور رجل اسمه (صادم) وهو الشخص الذي سيقضي على أعداء الأمة لكن الشيخ لم يوثق كلامه باسم الصحيفة وعددها وتاريخ صدورها وفي أي صفحة وهل هو رأي الصحيفة أم كاتب أم أحد قرائها.

أليس من باب الأمانة العملية ذكر الأمور أعلاه.. صحيح أنا أثق بالشيخ لكن غيري قد لا يعرفه فلا يطالبه بالدليل على قوله.

* في مقالة (من أبنية الورق لشيخ المعرة هاجس الإغتراب والقلق) للأستاذ عبد الرحمن السماوي، جزى الله الأستاذ خيرا على ما كتب، لكن الأستاذ عندما ذكر الطاعنين في المعري دافع هو عنه من دون ايضاح تام بقوله (استغل أعداء الدين الكثير من كلام أبي العلاء في نقد الدين وحاولوا النفخ في كثير من عباراته وحملوها رهقا من المعاني الخ) كان الأولى بالأستاذ بما أنه دافع عن المعري أن يأتي بأدلة الطاعنين ويعمل هو على تفنيدها هذا إن كان موضوعه هو (من هو المعري) أما إن كان موضوعه هو بعض أبيات المعري فكان يجب أن لا يأتي بالمقدمة وإنما يدخل مباشرة فيما يريد والله أعلم.

* مقالة الأستاذ محمد طه الطرابلسي (الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي) جاء في ص 79 (وكان هدف دولة الخلافة من ضم المغرب استغلال الموقع الجغرافي القريب لاستعادة الأندلس ومهاجمة أوروبا الغربية) الخ جزى الله الأستاذ على هذه النقطة في موضوعه الطيب لكن أما كان يجب أن يذكر لنا الأستاذ مصدر كلامه هذا من أين عرفه خصوصا أن الدولة العثمانية لم نقرأ في كتب التاريخ بأنها أغاثت مسلمي الأندلس قبل سقوطها (الله أعلم بالأسباب).

وذكر الأستاذ أعلاه ص 80 (سحق الإنجليز الثورة الجهادية المنتصرة التي قادها المهدي في السودان)، ذكر الكلام هكذا دون ايضاح عقيدة المهدي هذا غير صحيح، لأن من لم يقرأ عنه شيئا سيظنه من أهل الصلاح، لأن المعروف عن المهدي أنه زائغ العقيدة صوفي خرافي وللمزيد من الإطلاع ليقرأ المؤلف كتابا اسمه «المهدي من أبها إلى تسلهاي»، قدم له أمير حزب الإخوان المسلمين في السودان أو الرجل الثاني (الحبر عبد الدائم على ما اذكر)، والكتاب مدعوم من وزارة إعلام السودان أي كتاب في مدح المهدي وعندما تقرأه من الجلد إلى الجلد ستعرف من هو المهدي وجهالة المقدم في أمور وكلام ينقلونه عن المهدي، والكتاب طُبع في السودان قبل حوالي أربعة أو ثلاث سنوات.

* جاء في باب (رسائلكم وصلت) عبارة (أننا ما قمنا إلا لأجلك) ص 115 وأظن أن هذا سبق قلم حيث الصحيح (أنما قمنا لأجل نيل رضا الله ثم لأجلك) وكذلك استعمالكم كلمة (نقد) بدلا من المصطلح الإسلامي (النصح) في نفس الموضوع.

في الختام تقبلوا محبتنا وأخوّتنا لكم واعلموا أن ما كتبته لكم قد يكون صوابا وقد يكون خطأ لكن إن شاء الله أن النية هي النصح ليس إلا، وبارك الله فيكم.

والسلام عليكم

والله أكبر والخلافة قادمة

الفهرس

المجلّة

تعبّر عن رأي كاتبها،

وهي ملزمة بكلّ ما يكتب فيها،

وهي بهذا تعبّر عن موقف المسلم في

فهمه لقضايا الدّين والعصر ولذا تدعو الإخوة الأحبّة

أن يمدّوها بما لديهم من مشاركات علميّة ودعويّة وفكريّة

ومنهجيّة وأدبيّة تخدم ما تحمله من منهج وهدف، وسيجد الإخوة

في هذه المجلّة طريقهم المفتوح إذا أغلقت أمامهم السّبل

والله الموفق

ترسل المقالات والتّبرّعات على عنوان المجلّة

وللإستفسار عن المجلّة الرّجاء الإتّصال على هذا الرّقم :

00 44 956 448 397

السّعر 2 جنيه إسترليني أو ما يعادلها